« إن مواجهة هذه الأزمة غير المسبوقة،
تتطلب تعبئة وطنية شاملة،
وتضافر جهود الجميع، لرفع تحدياتها.

ونغتنم هذا الموعد الدستوري الهام،
لندعو كل المؤسسات والفعاليات الوطنية،
وفي مقدمتها البرلمان،
للارتقاء إلى مستوى تحديات هذه المرحلة،
وتطلعات المواطنين.

فالمسؤولية مشتركة،
والنجاح إما أن يكون جماعيا،
لصالح الوطن والمواطنين، أو لا يكون. »

مقتطف من الخطاب السامي الذي وجهه جلالة الملك نصره الله
بمناسبة افتتاح الدورة الأولى من السنة التشريعية الخامسة
من الولاية التشريعية العاشرة

صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله يوجه خطابا ساميا إلى الأمة
بمناسبة الذكرى الـ 67 لثورة الملك والشعب
الحسيمة، يوم 20 غشت 2020

« الحمد لله، والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه.

شعبي العزيز،

في مثل هذا اليوم من سنة 1953، اجتمعت إرادة جدنا، جلالة الملك محمد الخامس، ورفيقه في الكفاح، والدنا جلالة الملك الحسن الثاني، طيب الله ثراهما، مع إرادة الشعب المغربي، في ثورة تاريخية، على رفض مخططات الاستعمار.

وقد تميزت هذه الثورة المجيدة، بروح الوطنية الصادقة، وبقيم التضحية والتضامن والوفاء، من أجل حرية المغرب واستقلاله.

وتاريخ المغرب حافل بهذه المواقف والأحداث الخالدة، التي تشهد على التلاحم القوي بين العرش والشعب، في مواجهة الصعاب.

وهي نفس القيم والمبادئ، ونفس الالتزام والتعبئة الجماعية، التي أبان عنها المغاربة اليوم، خاصة في المرحلة الأولى من مواجهة وباء كوفيد 19.

فقد تمكنا خلال هذه الفترة، بفضل تضافر جهود الجميع، من الحد من الانعكاسات الصحية لهذه الأزمة، ومن تخفيف آثارها الاقتصادية والاجتماعية.

وفي هذا الإطار، قامت الدولة بتقديم الدعم لفئات واسعة من المواطنين، وأطلقنا خطة طموحة وغير مسبوقة لإنعاش الاقتصاد، ومشروعا كبيرا لتعميم التغطية الاجتماعية لجميع المغاربة.

وإننا نؤكد على ضرورة تنزيل هذه المشاريع، على الوجه المطلوب، وفي الآجال المحددة.

شعبي العزيز،

إننا لم نكسب بعد، المعركة ضد هذا الوباء، رغم الجهود المبذولة. إنها فترة صعبة وغير مسبوقة بالنسبة للجميع.

صحيح أنه كان يضرب بنا المثل، في احترام التدابير الوقائية التي اتخذناها، وفي النتائج الحسنة التي حققناها، خلال فترة الحجر الصحي.

وهو ما جعلنا نعتز بما قمنا به، وخاصة من حيث انخفاض عدد الوفيات، وقلة نسبة المصابين، مقارنة بالعديد من الدول.

ولكن مع الأسف، لاحظنا مع رفع الحجر الصحي، أن عدد المصابين تضاعف بشكل غير منطقي، لأسباب عديدة.

فهناك من يدعي بأن هذا الوباء غير موجود ؛ وهناك من يعتقد بأن رفع الحجر الصحي يعني انتهاء المرض ؛ وهناك عدد من الناس يتعاملون مع الوضع، بنوع من التهاون والتراخي غير المقبول.

وهنا يجب التأكيد على أن هذا المرض موجود ؛ ومن يقول عكس ذلك، فهو لا يضر بنفسه فقط، وإنما يضر أيضا بعائلته وبالآخرين.

ويجب التنبيه أيضا، إلى أن بعض المرضى لا تظهر عليهم الأعراض، إلا بعد *10* أيام أو أكثر، إضافة إلى أن العديد من المصابين هم بدون أعراض. وهو ما يضاعف من خطر انتشار العدوى، ويتطلب الاحتياط أكثر.

فهذا المرض لا يفرق بين سكان المدن والقرى، ولا بين الأطفال والشباب والمسنين.

والواقع أن نسبة كبيرة من الناس لا يحترمون التدابير الصحية الوقائية، التي اتخذتها السلطات العمومية : كاستعمال الكمامات، واحترام التباعد الاجتماعي، واستعمال وسائل النظافة والتعقيم.

فلو كانت وسائل الوقاية غير موجودة في الأسواق، أو غالية الثمن، قد يمكن تفهم هذه التصرفات. ولكن الدولة حرصت على توفير هذه المواد بكثرة، وبأثمان جد معقولة.

كما أن الدولة قامت بدعم ثمن الكمامات، وشجعت تصنيعها بالمغرب، لتكون في متناول الجميع.

بل إن الأمر هنا، يتعلق بسلوك غير وطني ولاتضامني. لأن الوطنية تقتضي أولا، الحرص على صحة وسلامة الآخرين ؛ ولأن التضامن لا يعني الدعم المادي فقط، وإنما هو قبل كل شيء، الالتزام بعدم نشر العدوى بين الناس.

كما أن هذا السلوك يسير ضد جهود الدولة، التي تمكنت والحمد لله، من دعم العديد من الأسر التي فقدت مصدر رزقها.

إلا أن هذا الدعم لا يمكن أن يدوم إلى ما لانهاية، لأن الدولة أعطت أكثر مما لديها من وسائل وإمكانات.

شعبي العزيز،

بموازاة مع تخفيف الحجر الصحي، تم اتخاذ مجموعة من التدابير الوقائية، قصد الحفاظ على سلامة المواطنين، والحد من انتشار الوباء. إلا أننا تفاجأنا بتزايد عدد الإصابات.

فتدهور الوضع الصحي، الذي وصلنا إليه اليوم مؤسف، ولا يبعث على التفاؤل. ومن يقول لك، شعبي العزيز، غير هذه الحقيقة، فهو كاذب.

فبعد رفع الحجر الصحي، تضاعف أكثر من ثلاث مرات، عدد الإصابات المؤكدة، والحالات الخطيرة، وعدد الوفيات، في وقت وجيز، مقارنة بفترة الحجر.

كما أن معدل الإصابات ضمن العاملين في القطاع الطبي، ارتفع من إصابة واحدة كل يوم، خلال فترة الحجر الصحي، ليصل مؤخرا، إلى عشر إصابات.

وإذا استمرت هذه الأعداد في الارتفاع، فإن اللجنة العلمية المختصة بوباء كوفيد 19، قد توصي بإعادة الحجر الصحي، بل وزيادة تشديده.

وإذا دعت الضرورة لاتخاذ هذا القرار الصعب، لاقدر الله، فإن انعكاساته ستكون قاسية على حياة المواطنين، وعلى الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية.

وبدون الالتزام الصارم والمسؤول بالتدابير الصحية، سيرتفع عدد المصابين والوفيات، وستصبح المستشفيات غير قادرة على تحمل هذا الوباء، مهما كانت جهود السلطات العمومية، وقطاع الصحة.

وبموازاة مع الإجراءات المتخذة من طرف السلطات العمومية، أدعو كل القوى الوطنية، للتعبئة واليقظة، و الانخراط في المجهود الوطني، في مجال التوعية والتحسيس وتأطير المجتمع، للتصدي لهذا الوباء.

وهنا، أود التنبيه إلى أنه بدون سلوك وطني مثالي ومسؤول، من طرف الجميع، لا يمكن الخروج من هذا الوضع، ولا رفع تحدي محاربة هذا الوباء.

شعبي العزيز،

إن خطابي لك اليوم، لا يعني المؤاخذة أو العتاب ؛ و إنما هي طريقة مباشرة، للتعبير لك عن تخوفي، من استمرار ارتفاع عدد الإصابات والوفيات، لا قدر الله، والرجوع إلى الحجر الصحي الشامل، بآثاره النفسية والاجتماعية والاقتصادية.

وإننا اليوم، ونحن نخلد ذكرى ثورة الملك والشعب، أكثر حاجة لاستحضار قيم التضحية والتضامن والوفاء، التي ميزتها، لتجاوز هذا الظرف الصعب.

وإني واثق بأن المغاربة، يستطيعون رفع هذا التحدي، والسير على نهج أجدادهم، في الالتزام بروح الوطنية الحقة، وبواجبات المواطنة الإيجابية، لما فيه خير شعبنا وبلادنا.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ».

الفهـــــرس

إضـــاءة

النمو والمجالات الترابية : المعادلة الجديدة للعولمة

مع فتح الله السجلماسي وإيمان مريم بنكيران

22

إضـــاءة

جامعة محمد الأول لوجدة : مهد للبحث والابتكار

مع ياسين زغلول

37

الوضع

فيروس كورونا : أزمـة الحـي

مع جليل بناني

59

افتتاحيـة

ثورة الملك والشعب الجديدة 9
محمد امباركي
المدير العـام لوكالة جهة الشرق

علامـات

الإعـداد لما بعد كوفيد-19 11
محمد توفيق ملين
المدير العام للمعهد الملكي للدراسات الإستراتيجية

بعض الأفكار لما بعد كوفيد-19 : أية أدوار للجهات ؟ 14
خالد سبيع
نائب رئيس مجلس جهة الشرق

تركيـز

سلسلة من التدابير لإنعاش اقتصاد جهة الشرق على قواعد جديدة 18
محمد الصابري
المدير العام للمركز الجهوي للاستثمار جهة الشرق

إضـــاءة

الإستراتيجية الجهوية لمواجهة كوفيد-19 بجهة الشرق 25
عبد المالك كوالا
المدير الجهوي للصحة جهة الشرق

تغيرت الوضعية الاقتصادية الجهوية مع كوفيد-19 27
نور الدين الباشري
رئيس الكنفدرالية العامة لمقاولات المغرب لجهة الشرق

الرقمي حل بديل للانتعاش لما بعد كوفيد-19 29
نبيل زروال
مقاول،
مبتكر إسكودف المغرب بجرادة

ما بعد كوفيد : على جهة الشرق أن تبني نفسها حول إستراتيجية جديدة 31
سفيان بوشاقور
رئيس مرصد التنمية المحلية والجهوية لجهة الشرق

التربية بجهة الشرق في ظل الجائحة : أقسام افتراضية ومنصات للخدمات 34
محمد ديب
مدير الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين لجهة الشرق

في مواجهة الجائحة، صمود وإنجازات في الفلاحة 40
محجوب لحرش
المدير الجهوي لوزارة الفلاحة، والصيد البحري، والتنمية القروية والمياه والغابات

«صنع بشرق المغرب»، بأسعار معقولة في مواجهة أسوء أزمة في تاريخ السياحة الجهوية 42
محمد الملحاوي
أستاذ جامعي واستشاري للمركز الجهوي للسياحة

المجتمع المدني بجهة الشرق ومواجهة كورونا 44
الكبير حنو
مدير قطب التنمية المحلية - وكالة جهة الشرق

الجمعيات في الخطوط الأمامية ضد الوباء 50
الأستاذة سليمة فراجي
محامية ورئيسة جمعية فضاء الشباب

الوضـــع

في مواجهة الوباء، الفن يهدئ ويبعث رسائل أمل 52
خالد سلي
مدير المهرجان المغاربي للفيلم

النموذج الجديد للثقافة رافعة جديدة للتنمية 55
مريم الناوي
إطار عالي بوكالة جهة الشرق،
مكلفة بالتنسيق بمعرض آداب مغاربية
مسؤولة عن برمجة «الطفولة والشباب»

أفـــق

حماية الحياة وصيانتها سلوك إيماني 64
الدكتور مصطفى بنحمزة
رئيس المجلس العلمي لوجدة

لكي نبقى دائما على اتصال... 66
بيار ماطيو
المدير المنتدب للمعهد الفرنسي لوجدة

الأزمة الصحية كوفيد-19 : قراءة وآفاق المجتمعات المحلية لإفريقيا 69
جان بيار إلون مباسي
الأمين العام لمنظمة المدن والحكومات المحلية المتحدة لإفريقيا

Oriental.ma

مدير النشر : محمد امباركي

سكرتيرة التحرير : سعيدة ماهر • التصميم والإنتاج : TOPIC • التنسيق في عين المكان : علي خروبي

الترجمة إلى العربية : أبدر المريني • الإشراف على الترجمة : الكبير حنو

رقم الإيداع القانوني : 2018PE0068 • ISSN : 2657-2788 • وكالة جهة الشرق : 13، زنقة محمد عبدو، 60 000 - وجدة

الهاتف : 68 58 70 36 5 (212+) • الفاكس : 52 58 70 36 5 (212+) • الموقع : www.oriental.ma

لا تلزم الآراء المنشورة إلا أصحابها

إفتتاحية

ثورة الملك والشعب الجديدة

خصص جلالة الملك محمد السادس نصره الله، استثنائيا، خطابه السامي للذكرى السابعة والستين لثورة الملك والشعب، لوباء كوفيد-19. وقد ذكر حفظه الله، بالمراحل الأولى التي اجتازتها بلادنا بكل نجاح وبالصعوبات التي ظهرت بعد رفع الحجر الصحي. هذا التأثر الكبير لجلالته، ترك صدى قويا في كل النفوس، كالدعوة للمزيد من الحيطة والحذر والمسؤولية والمواطنة... وهذا الاهتمام الكبير يبين مدى تأثير الڤيروس على بلادنا خلال هذه المرحلة العصيبة والتي لا يمكن تجاوزها إلا بواسطة «ثورة جديدة للملك والشعب».

إن هذا العدد من مجلة «Oriental.ma» ليس للأسف عددا لما بعد الأزمة، ولا حتى عددا لما بعد الحجر الصحي، لأن تدابير وقائية صارمة أضحت ضرورية لكبح انتشار الوباء، أمام العدد المتزايد للمصابين يوميا. كما يحرص على استخلاص العبر وإبراز المبادرات المحمودة التي تم اعتمادها بجهة الشرق لمواجهة الوباء، ويرغب بالخصوص في الإسهام في الذكاء الجماعي لنكون عند حسن الظن. ودون أن ندرك مدى امتداد وإكراهات المسار القادم، نرسم صورة لجهة الشرق في مواجهة الجائحة خلال فترة الحجر الصحي وبعدها، معززة بإسهامات أطراف أخرى. فقد طلبنا من كل اللذين واجهوا الوباء مباشرة، ويستمرون في محاربة تداعياته السلبية، وكذا الفاعلين العموميين والخواص الذين أبانوا عن روح المبادرة والابتكار، إعطاء إجابات جديدة عن أسئلة كانت إلى غاية الأمس مجهولة. فالشكر الجزيل لكل الذين قدموا شهاداتهم.

لن ينسى أحد تفاعل وأهمية التوجيهات الملكية السامية التي تضع المواطنين على مسار السلامة القصوى. فعلى السياق الوطني، انطلقت مبادرات محلية من المجالات الترابية و من جامعات ومقاولات وحتى من مواطنين بسطاء. لقد عاينا ذلك بجهة الشرق، ونرويه هنا.

إذا كان اليوم عدد كبير من الڤيروسات يتنقل في مختلف مناطق المعمور، فذلك يخاطب في العمق كينونتنا ويهدد حياتنا.
فقد استقرت ممارسات جديدة، لكن هل ستستمر بعد الجائحة ؟
ما هي تباطؤات أو تسارعات الاتجاه، التي ستكون مستدامة ؟
ما هي الرسائل بالنسبة لروحانيتنا ؟
كيف سيتفاعل أصحاب القرار في مثل هذه الظرفية الاستثنائية ؟

إن عالم ما بعد الوباء يصعب توقعه، بحيث أن الترقب يشكل مخاطرة كبيرة، لكن كُتابَنا يقدمون بعض الإضاءات ورسم التجديد ببعد ثقافي قوي، يتجاوز مجرد انتعاش اقتصادي، مهما كانت ضرورته.

وفي نهاية المطاف، هل سيكون هناك عالم فيما بعد، أم سيتحتم علينا أن نتعلم التعايش مع الڤيروس ؟ فالعلماء لهم أفكار مختلفة وآراء متباينة، تتجاوز اليقين أحيانا. لكن علينا أيضا أن نتعلم كيف نفكر.
ومع ذلك، هناك قرارات يجب أن تُتخذ وتُلزم الغد. تهانينا لكل الذين يعملون بجهة الشرق ولم يختاروا «الانتظار والتفرج». بقراءتنا لكل من ساهموا في هذا العدد، فإن ڤيروسات الشرف والتعبئة، تتحرك دوما !

محمد امباركي
المدير العام لوكالة جهة الشرق

ORIENTAL.MA Beaux Livres

وكالة جهة الشرق

سحر التراث
وقناعتنا بأنه إستثنائي

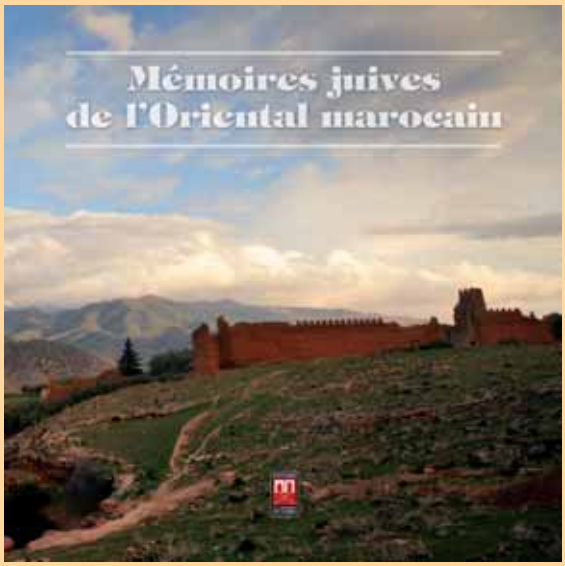

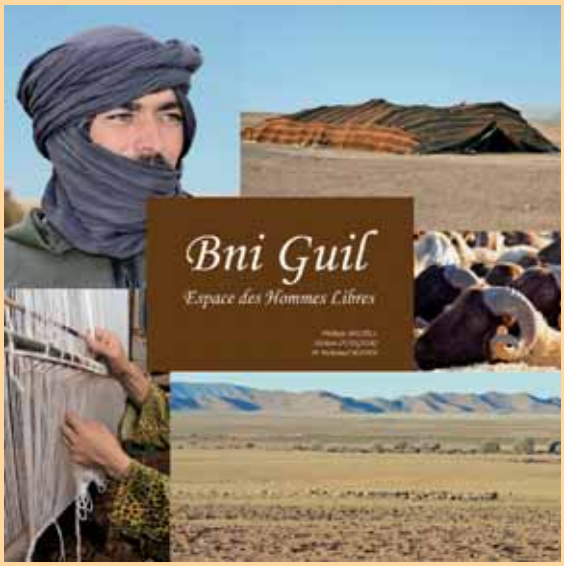

الإعـداد لـما بعد كوفيد-19

محمد توفيق ملين
المدير العام للمعهد الملكي للدراسات الإستراتيجية

الكاتب مكلف بمهمة بالديوان الملكي ومدير المعهد الملكي للدراسات الإستراتيجية. وهو خريج مدرسة بوليتكنيك لباريس. وقد شغل في السابق منصب مدير للسياسة الاقتصادية العامة بوزارة المالية كما عمل كإطار مسير لأمنيوم شمال إفريقيا. فهو بالتالي يستطيع بكفاءة عالية وبمعلومات غاية في الدقة تحليل وضعية البلاد وآفاق خروجها من الأزمة وموقع الجهات في التحولات الجارية والمقبلة.

فاجأت أزمة كوفيد-19 التي انطلقت بووهان بالصين في نهاية سنة 1919 العالم بحجمها وسرعة انتشارها، بالرغم من كون سيناريو وباء مرتقب قد تم الحديث عنه مرات عدة. فلم تُأخذ تحذيرات خبراء المستقبل على محمل الجد من لدن أصحاب القرار السياسي، الذين كانوا يواجهون في الغالب خيارات مالية معقدة ويخشون من إفزاع مواطنيهم.

ولكونه حدثا تاريخيا غير مسبوق، فقد فرض وباء كوفيد-19 على الدول اتخاذ تدابير هامة لكبح انتشار الڤيروس، مما حول الأزمة الصحية إلى أزمة متعددة الأشكال، تمس كل أوجه حياة الأفراد.

أزمة متعددة الأشكال تعلن بوادر عالم جديد ما بعد كوفيد

يبدو أن هذه الوضعية، الفريدة من نوعها، تجمع بوادر تحولات وقطيعة هامة قد تبرز

في المستقبل على الأصعدة الجيوسياسية، السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، المجتمعية والبيئية. وهي تجعل من الضروري تغييرا أساسيا للنموذج إذ أن عالم الغد سيكون مختلفا عن عالم اليوم.

فعلى الصعيد الجيوسياسي، جاء الوباء ليعمق أزمة الريادة الدولية. وقد أماط اللثام عن حكامة دولية غير ناجعة وعن تنافس مدمر على الهيمنة بين الولايات المتحدة والصين. ويتميز شكل العولمة، حاليا، بالأنانيات الوطنية وبانجذاب نحو سياسات حمائية.

فقد وجد الغرب نفسه منزوع السلاح أمام الأزمة الصحية. كما تأكد فقده لزعامة العالم بعد تصاعد قوة الصين، التي أصبحت قاطرة الاقتصاد العالمي، بعد أن فوضت لها الدول الغربية إنتاجها الصناعي، بما فيه المواد الضرورية الأساسية.

أما على الصعيد الإقليمي، فقد ظهر أن إفريقيا أقل تضررا من الوباء بسبب شباب ساكنتها بالخصوص، وانخراطها المحدود في العولمة وأنساق عيش ساكنتها. وإذا كانت إفريقيا ما زالت تثير الأطماع بسبب خيراتها الطبيعية، فالجديد هو أن هذا الوباء قد يعيد توزيع أوراق المنافسة الدولية للتزود بالمواد الأولية.

وأما على المستوى السياسي، فقد نتج عن الأزمة عودة لدور الدولة. وهذا الأمر يطرح تساؤلات حول علاقة الفرد بالدولة وعن التوجه الذي ينبغي أن تنحو إليه الديمقراطية. كما أن الأهمية التي احتلتها الأدوات الرقمية خلال الأزمة تفتح حقلا جديدا للتفكير.

أكد وباء كوفيد-19 قدرة الرقمي على تحويل أنساق الحكامة وأساليب الإنتاج بشكل جذري.

إلا أن الرغبة في تطوير الرقمي، وخاصة في ما يهم التواصل السياسي والسياسات العمومية، يقابله تطلع شعبي يتجلى أكثر يوما بعد يوم لتعزيز الديمقراطية وكذا لحماية أفضل للمعطيات الشخصية.

وعلى الصعيد الاقتصادي، فإن الأزمة جعلت العالم يعيش محنة اقتصادية كبيرة. فقد تدهورت الوضعية الاقتصادية العالمية بشكل كبير في النصف الأول من سنة 2020 : فالبنك الدولي يترقب انخفاضا في الناتج الداخلي الخام العالمي بنسبة 5,2% سنة 2020 : 7%- بالنسبة للإقتصادات المتقدمة، و2,5%- بالنسبة للإقتصادات الناشئة وفي طريق النمو.

للخروج من هذه الأزمة، الناتجة عن صدمة مزدوجة للعرض والطلب، والتي يصاحبها انهيار في أسعار المحروقات والعديد من المواد الأولية باستثناء المواد الغذائية والعقاقير الصيدلية، فإن الخيارات التي ستلجأ إليها الدول ستكون لها آثار اقتصادية عميقة، مع إعطاء صورة جديدة للعولمة وإعادة تحديد الدور الاقتصادي للدولة.

هناك مقاربة جديدة للسيادة الوطنية توشك أن ترى النور.

ففضلا عن البحث عن استقلالية إستراتيجية في مجال الصحة، التغذية والطاقة... فإن وباء كوفيد-19 قد يؤدي إلى الانتقال من صناعة للرفاهية والترف إلى صناعة للحياة وإلى إعادة تشكيل سلاسل القيم العالمية، التي قد تترك مكانها لسلاسل القيمة الإقليمية أو الجهوية.

على الصعيد الاجتماعي والمجتمعي، كرس الوباء بقوة هشاشة العنصر البشري وأنتج انتظارات قوية لتغييرات جذرية، بإعادة النظر في بعض أساليب الحياة وبرقمنة متزايدة للقطاعات الاقتصادية والاجتماعية، والتي تتجلى بالخصوص بنمو العمل عن بعد واللجوء المكثف للتعليم عن بعد. وقد تمثل هذه الجائحة بداية نظرة جديدة للعلاقات الأسرية والشخصية وتجعل من الضروري إعادة ترتيب الاختيارات الإستراتيجية لصالح تقليص الفوارق الاجتماعية وتحسين صحة المواطنين التي تشكل عنصرا رئيسيا في السلامة الجماعية.

وعلى الصعيد البيئي، فقد تستعجل الأزمة ضرورة الانتقال الإيكولوجي والدفاع عن تغيير في العلاقة بين الإنسان والطبيعة. كما أنها قد تقوي الحاجة إلى تنمية مستدامة وقريبة من الإنسان.

إلزامية إعداد المغرب لعالم ما بعد كوفيد

على غرار الدول الأخرى، فإن المغرب لم يسلم من تداعيات أزمة كوفيد-19. فبمجرد اكتشاف أول حالة لڤيروس كورونا على ترابه في بداية مارس 2020، اتخذ المغرب تدابير صارمة كإغلاق الحدود، إعلان حالة الطوارئ الصحية، إقرار الحجر العام للسكان وإحداث صندوق خاص لتدبير جائحة كورونا ووضع لجنة لليقظة الاقتصادية...

مكن الرد السريع للسلطات المغربية، بتوجيهات من صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله، من كبح تفشي الوباء.

اللجوء المكثف للرقمي وللأنترنيت

وقد مكنت التدابير السيادية من وضع المغرب في مصاف الدول التي سجلت، بعد سبعة أشهر من بداية الأزمة، أقل معدلات الإماتة في العالم (أقل من 2%) ومعدل شفاء من بين الأعلى، حيث تجاوز 80%. وقد تلا التدابير المذكورة الإعلان، بمناسبة خطاب العرش لـ 29 يوليوز 2020، عن مخطط للإنعاش الاقتصادي، بضخ 120 مليار درهم في الإقتصاد، أي ما يعادل 11% من الناتج الداخلي الخام وبإنشاء صندوق للاستثمار الاستراتيجي. وبتعميم التغطية الاجتماعية للمغاربة في أجل 5 سنوات وبإصلاح واسع للقطاع العمومي.

وأمام التزايد الهام لأعداد الإصابات بعد الخروج من الحجر، فقد أكد صاحب الجلالة في خطابه بمناسبة الذكرى الـ67 لذكرى ثورة الملك والشعب، على أنه : «*بدون سلوك وطني مثالي ومسؤول، من طرف الجميع، لا يمكن الخروج من هذا الوضع، ولا رفع تحدي محاربة هذا الوباء*» وأن أي عودة إلى الحجر الكلي «*قد تنتج عنه آثار نفسية واجتماعية واقتصادية*».

وبالفعل، فقد كان للحجر الكبير، الذي كان يهدف بالأساس إلى صيانة صحة المغاربة، تداعيات سلبية على الوضعية الاقتصادية والاجتماعية، تمثلت في توقف 712 000 شخص عن العمل عند نهاية غشت 2020، وانقطاع الموارد عن جزء من السكان، وانكماش اقتصادي بزهاء 6% خلال سنة 2020، وتفاقم بنسبة 3,8 نقطة من الناتج الداخلي الخام لعجز الميزانية وكذا تدهور بـ 2,3 نقطة من الناتج الداخلي الخام لميزان الأداءات الجارية. هذا وإن اختفاء جزء من الآلة الإنتاجية الوطنية هو احتمال ينبغي أخذه بجدية، خاصة وأن فترة الحجر التام بالمغرب كانت من بين الأطول في العالم.

وعلى الصعيد الاجتماعي، يمكن أن يكون هناك ارتفاع في الفوارق الاقتصادية والاجتماعية وقفزة للهدر المدرسي عند استئناف الدراسة. ففضلا عن ضرورة مواجهة التداعيات الظرفية للأزمة الصحية، ينبغي للمغرب أن يسرع في تفعيل نموذج جديد للتنمية، بتقديم إجابة إستراتيجية للوباء، تكون ذات طبيعة هيكلية، وذلك وفق التوجيهات الملكية السامية المعلنة تباعا في خطاب العرش لسنة 2020، والخطاب بمناسبة الذكرى الـ67 لثورة الملك والشعب والخطاب الموجه إلى البرلمان بمناسبة افتتاح الدورة الأولى للسنة التشريعية الخامسة. ويتعلق الأمر بتصحيح بعض الاختلالات التي ظهرت أثناء تدبير الأزمة الصحية، وتمكين الاقتصاد الوطني من تجاوز مخلفات الحجر ومواجهة الآثار الخارجية للأزمة على المغرب، وخاصة، تراجع الطلب الدولي والدفقات المالية الآتية من خارج البلاد.

ويجدر أيضا العمل على تقليص التبعية الخارجية للاقتصاد الوطني للموارد الإستراتيجية، وخاصة في ميادين التغذية والطاقة، والارتقاء باقتصاد القرب، وتشجيع الانتقال الرقمي، وتسهيل التشغيل الذاتي ووضع أسس منظومة صحية قادرة على مواجهة أزمات محتملة وبائية أو طبيعية.

وقد أصبحت الإجابة المنهجية الشاملة تفرض نفسها أيضا نتيجة الرؤية الجديدة للعالم التي بدأت تبرز، والتي، في آن واحد، تضع الإنسان في صميم التنمية، وتُراجع علاقة الإنسان بالطبيعة، وتواجه التسارع الناتج عن التكنولوجيات الجديدة التي تقطع مع السابق وتؤمن ربطا بين الشمولي والمحلي في إطار العولمة. وبالنظر للطابع الشمولي والمحلي أيضا للوباء، على المغرب أن يستفيد من إعادة تشكيل سلاسل القيم الأوروبية نحو المزيد من ترحيل القرب والصمود، من أجل التموقع كشريك تفضيلي، وخاصة في القطاعات ذات القيمة المضافة العالية كالبحث والتنمية، على أساس القرب الجيوسياسي المتزايد وضمان التموينات.

إضافة إلى ذلك، فعلى المملكة أن تساهم في تنمية إفريقية ذاتية، تستجيب لتطلعات النخب الإفريقية الشابة، وتعزيز دورها الفعلي في القارة والتموقع كرائد تكنولوجي.

أما على الصعيد الوطني، فقد تبين أن الحكامة الترابية هي من أحسن طرق تدبير الأزمة الوبائية. وانطلاقا من هذا التشخيص، ينبغي تسريع الجهوية المتقدمة بالمغرب من أجل بعث إشارة قوية للسكان تدل على اعتبار السياقات المحلية وعلى الثقة الموضوعة في استقلالية الفاعلين المحليين للقيام بالاختيارات الصائبة. ومن أجل ذلك، علينا الارتقاء بمبدأ التفويض، وتعزيز استقلالية الجهات بإمدادها بالمزيد من الوسائل على صعيد تدبير الأزمات وبتنصيبها كفاعل أساسي للحكامة بالمغرب.

بالمغرب كما في باقي المعمور،
مثل الوباء انطلاقة التكنولوجيات الجديدة الثورية

بعض الأفكار لما بعد كوفيد-19 : أية أدوار للجهات ؟

خالد سبيع
نائب رئيس مجلس جهة الشرق

الكاتب، مهندس دولة خريج المدرسة الوطنية للمعادن، تقلد عدة مسؤوليات بوزارة الاقتصاد والمالية - المفتشية العامة للمالية، مديرية التأمينات ومديرية الميزانية - نائب برلماني سابق عن إقليم تاوريرت وهو اليوم النائب الأول لرئيس مجلس جهة الشرق، على بينة بشؤون وانشغالات الجهة. فرؤيته الاقتصادية تنادي بموقف أكثر مواطنة من لدن المصارف، وتعبئة المزيد من طلبيات الدولة كرافعة رئيسية لإعادة الحياة إلى دواليب الاقتصاد، كما يدعو إلى تطوير البعد المجالي في السياسة العمومية.

انطلاقا

من هذه الأزمة غير المسبوقة بمختلف المقاييس، تبرز خاصيتين اثنين أساسيتين :

- التباطؤ الشديد للاقتصاد، بل التوقف الشبه تام لبعض القطاعات (الفنادق وغيرها) ؛
- طابعها العالمي (رغم اختلاف مستوى الأثر فهي لم تستثن أية دولة).

زاد الاعتماد الاقتصادي المتبادل الناتج عن انفتاح اقتصادات الدول من الأثر الاقتصادي والاجتماعي للأزمة الصحية. وقد تجسدت الأزمة في كل البلدان بتدهور قوي للحالة الاقتصادية والاجتماعية والتوازنات المالية. حيث انخفض الناتج الداخلي الخام بفرنسا بـ 8%- إلى 10%-، وازداد عدد العاطلين بمليون شخص نهاية أبريل 2020، وانتقلت نسبة الدين العمومي/ الناتج الداخلي الخام من 100% قبل الأزمة إلى 115%، بل 120% حاليا، والعجز المالي المرتقب إلى 9%.

تذكير بالسياق وبالإكراهات المالية

ترافق تدهور التوازنات المالية بالمغرب بتدهور قوي للتوازنات الخارجية. وهكذا، وبالنسبة لميزان الأداءات، توالت انخفاضات إيرادات القطاع السياحي وتحويلات المغاربة المقيمين بالخارج والاستثمارات الخارجية المباشرة، دون أن نغفل وقع الجفاف الذي تسبب في ضعف إنتاج الحبوب الذي لم يتجاوز 30 000 قنطار خلال السنة الفلاحية 2020/2019. ولمواجهة الأزمة، بذلت السلطات العمومية جهودا كبيرة لتجنب انهيار الاقتصاد. ومن الواضح أن الخروج من الأزمة والانتعاش الاقتصادي قد يكون بنفس صعوبة وتعقيد تدبير الأزمة نفسها، بالنظر للطابع غير المتوقع لتطور الجائحة.

سيفرض ما بعد كوفيد-19 وضع مخططات انتعاش وسيناريوهات خروج تستجيب للتطلعات والتساؤلات المتعددة على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي والصحي.

لعبت الدولة بالمغرب دورا رائدا للتخفيف من آثار الأزمة. وستكون حاضرة - بل عليها أن تكون حاضرة - لتقويم النشاط الاقتصادي رغم الضغوطات المالية الشديدة التي من المرتقب أن تتواصل إلى غاية 2022. وليس للمغرب أي خيار سوى أن يراجع لفترة بعض المسلمات (وخاصة عجز مالي في حوالي 3% والتحكم في الدين...). ويمكن ترقب العودة التدريجية للنشاط الاقتصادي بشكل واقعي ابتداء من 2023 على أقرب تقدير. ولا تتوفر الدولة لا على حلول سحرية ولا على وسائل غير محدودة لمساعدة كل القطاعات وكل الأنشطة التي تأثرت بالأزمة. وهناك دون شك خيار يمكن من استهداف سبل الانتعاش المناسبة وذات الأثر القوي على الاقتصاد بإدماج البعد الترابي.

ومن المهم هنا أن نبرز المقاربة الاستباقية التي نهجها المغرب لتدبير الجائحة، تحت القيادة النيرة لصاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله.

مكنت الجهود العمومية في البداية من تزويد المستشفيات بالتجهيزات والمعدات الطبية الحاسمة لمواجهة الوباء. كما اُتخذت تدابير عرضانية لفائدة الأسر والمقاولات المتضررة من الجائحة. وحددت التوجيهات الملكية السامية الواردة في الخطابات الملكية الأخيرة الأولويات الرئيسية : مخطط للإنعاش الاقتصادي بمجهود مالي استثنائي يمكن من ضخ 120 مليار درهم في الاقتصاد الوطني وتعميم التغطية الاجتماعية.

وإذا كانت لهذه الأزمة آثار سلبية على الحالة الاقتصادية للبلدان، فإن وقعها على بعض الجهات التي تعيش ظروفا صعبة، ومنها جهة الشرق، كان أشد.

ومن بين الآثار المباشرة تفاقم البطالة، التي ما زالت الجهة تشكو منها في غياب برنامج لإنعاش الاستثمار المحدث لمناصب الشغل يلائم الوضعية الحدودية الخاصة. وفي ما يلي، نقترح :

- تقييم مساهمة جهة الشرق بصفتها جماعة ترابية، في المجهود الوطني لمواجهة انتشار كوفيد-19 بالمملكة ؛
- صياغة بعض التصورات والاقتراحات (دون العودة مجددا للاقتراحات القطاعية التي تمت صياغتها ولا الرجوع إلى تدابير لجنة اليقظة الاقتصادية)، التي قد تسمح لبلادنا من تجاوز الوضعية الاقتصادية والاجتماعية الصعبة الناجمة عن الأزمة الصحية التي يعرفها المغرب منذ مارس 2020، بواسطة تدابير استباقية، مبتكرة، شجاعة ومنسقة.

المجهود المشترك للجهات في مواجهة انتشار كوفيد-19

إلى يومنا هذا، يجب أن تشكل مواجهة كوفيد-19 أسبقية لكل السلطات العمومية. وتبرز الأرقام الحالية بأننا ما زلنا في قلب الأزمة وبأن الجهود المبذولة قد تكون غير كافية، وبدون جدوى، بدون تعبئة جماعية. وقد برزت مشاركة الجهات في مجهود محاربة تفشي جائحة كوفيد-19 بالمملكة بالخصوص عبر مساهماتها المالية المهمة في الصندوق الخاص

مقر مجلس جهة الشرق بوجدة

لتدبير هذه الجائحة. وقد مكنت مساهمة الجهات عبر صندوق التضامن الجهوي، من جهة، والمساهمات المالية المباشرة في إطار ميزانياتها الحالية، من جهة أخرى، من تعبئة مبلغ ملياري درهم.

جهة الشرق تشارك في المجهود الوطني لمواجهة الجائحة

تدل مؤشرات التشغيل والنمو بأن جهة الشرق من الجهات التي توجد في وضعية صعبة. غير أن تدبير الأزمة مكن من تأكيد حصافة الاختيارات والأهداف التي وضعها المجلس الجهوي في إطار برنامجه التنموي. وقد تعبأ المجلس، منذ 2016، حول أسبقيتين :

- المساهمة في تنمية المناطق القروية والحدودية (برنامج واسع لفك العزلة وتدعيم التمدرس مستند على مجهود مهم للنسيج المهني) ؛
- مضاعفة المبادرات التي تمكن من خلق فرص الشغل والارتقاء بالرأسمال البشري (بالتوقيع على اتفاقيات مع جامعة محمد الأول لوجدة ومكتب التكوين المهني وإنعاش الشغل)، وإحداث صندوق مخصص لدعم المقاولات التي تلتزم مع المجلس في إحداث مناصب الشغل بالتراب الجهوي ومضاعفة المبادرات التي تهم تكوين الشباب من أجل تحسين قدرتهم على إيجاد عمل.

كانت النتائج في نهاية 2019 أكثر من مشجعة، بالتوقيع على أكثر من 40 اتفاقية تمكن من خلق حوالي 10 000 منصب شغل إضافية. وفضلا على التزام المجلس من أجل التربية والتعليم العالي والتكوين المهني، استفاد قطاع الصحة أيضا من اهتمام خاص. فقد خُصص له غلاف مالي يبلغ حوالي 320 مليون درهم (ما يعادل الموارد الإجمالية لسنة مالية) للمساهمة في :

- تجهيز المراكز الاستشفائية ؛
- تأهيل المستشفيات الإقليمية ؛
- إحداث مركز جهوي ومراكز إقليمية لكشف ومحاربة السرطان ؛
- دعم الجمعيات العاملة في مجال محاربة الأمراض المزمنة.

من جانب آخر، فإن أزمة كوفيد-19 كانت مصدر مجموعة من العمليات الهادفة إلى المساهمة في المجهود الوطني مع تكييفها مع خصوصيات الجهة. ويمكن أن نذْكر في هذا الإطار بعض العمليات الأساسية :

- إلغاء كل الاجتماعات والتظاهرات الداخلية وفق التعليمات الحكومية (استمرت جهة الشرق في مزاولة مهامها باللجوء إلى العمل عن بعد من أجل معالجة الملفات المستعجلة وتقليص آجال الأداء إزاء المزودين والمستفيدين من المساعدات والدعم بمختلف أشكاله) ؛

- وضع مخطط كثيف لدعم نظام الصحة ومساعدة الفاعلين فيه عبر تحمل مصاريف الطاقم الطبي والعلاجي ؛
- برنامج لتطهير البنايات العمومية، تم تعميمه على مجموع أقاليم الجهة ؛
- تحمل مصاريف إطعام الأشخاص المعبئين في برامج التطهير ؛
- مساعدة غذائية لفائدة 000 100 أسرة تحت إشراف وتأطير السلطات المحلية في كل أقاليم الجهة ؛
- مجهود لترشيد المصاريف لاعتبار التقليص الحاصل في التحويلات المالية للجهات من طرف الدولة، من جهة، وإعطاء الأسبقية لبرمجة العمليات التي تساهم في تدبير آثار الجائحة، من جهة أخرى.

تعبئة كبيرة للمحافظة على التشغيل ودعم المقاولات

سوف تظهر بوادر الآثار الاقتصادية والاجتماعية للأزمة في الأسابيع والأشهر القليلة القادمة : إفلاس المقاولات وارتفاع البطالة. وتتمثل الإجراءات المستعجلة التي يتوجب اتخاذها في إنقاذ أكبر عدد من المقاولات وبالتالي المحافظة على أكبر عدد من مناصب الشغل. يتعلق الأمر في البداية بمساعدة المقاولات على تجاوز الأزمة الحادة للخزينة (تمويل البطالة الجزئية بواسطة الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي، الإعفاء التام أو الجزئي - حسب الحالات - من التحملات الاجتماعية، إشراك الأبناك عبر توفير قروض بفوائد تفضيلية، الخ.).

تفترض تبعية المقاولات الصغرى والمتوسطة للأبناك بالمغرب، خلافا لبلدان أخرى يلجأ فيها النسيج المقاولاتي للبورصة، نهجا أكثر مواطنة من طرف المصارف، التي تتوفر، إلى جانب آليات الضمان الجاري بها العمل، على احتياطات مالية ذاتية هامة بمقدورها أن تدعم خزينة المقاولات الصغرى والمتوسطة بمنحها قروضا بشروط ملائمة ومشجعة.

ويجدر، من جانب آخر، أن تستهدف تدابير الدعم القطاعات المهددة وترشيد النفقات المالية والجبائية. في هذا الصدد، يستحق القطاع السياحي مجهودا خاصا. ونظرا لتبعيته القوية للطلب الأجنبي، تأثر القطاع بشكل قاس من إغلاق الحدود. وقد تستمر هذه الصعوبات، مع ما قد يترتب عن ذلك من فقدان هام لمناصب الشغل. أما فيما يتعلق بآليات المساعدات العمومية للمقاولات، فيجدر إدراجها في إطار استراتيجي منسق ويدمج المستوى المحلي عبر شراكات بين الوكالة المغربية لتنمية الاستثمارات والصادرات والوكالة الوطنية لإنعاش المقاولات الصغرى والمتوسطة، من جهة، والمتدخلين المحليين الآخرين (الجهات، المراكز الجهوية للاستثمار، الغرف المهنية، الخ.)، من جهة أخرى، مع السهر على تثبيت مبدأ الشَرطية على المساعدات وإدماج البعد الترابي. وينبغي إرساء ميكانيزمات مساعدة تستهدف إعادة هيكلة المقاولات (والتي تغيب حاليا عن تشكيلة آليات الدعم المعمول بها حاليا).

ضرورة التأهيل الاجتماعي العاجل للمجالات الترابية

تجتمع الآراء حول الفوارق المجالية والاجتماعية. وليس من اللائق أن تكون الأزمة مصدرا لتفاقم هذه الفوارق. فكل مبادرة غير هادفة تغفل مبدأ الإنصاف الترابي والاجتماعي قد تبوء بالفشل. ومن المهم أن تأخذ بعين الاعتبار كل سبل التفكير الجارية حول تدابير الإنعاش البعد الترابي. فمبادئ التعليم للجميع، الصحة للجميع والشغل للجميع، تفترض قبل كل شيء تنمية ترابية منسجمة، مع ميكانيزمات واضحة للتضامن ترمي إلى تقليص الفوارق وتعزيز ثقة الساكنة القروية وكذا ساكنة المناطق المحرومة. وتُبرر آثار الأزمة الصحية والجفاف على الإيرادات بالوسط القروي، وفق منظور «كينيزي»، انطلاق برامج وأوراش قروية ممولة من طرف الدولة وتفريعاتها (عبر التعاقد من الباطن والتعاونيات القروية بالخصوص) من أجل خلق أيام عمل تدر موارد مالية لفائدة السكان. وينبغي لهذه الأوراش أن تراعي البرامج الجارية وتمنح الأولوية للشباب والنساء. يستند التأهيل الاجتماعي على نظام مُراجع للحماية الاجتماعية. وستمكن التقائية الفاعلين والمؤسسات من إعطاء فعالية للجهود المبذولة. ويشكل ورش التغطية الاجتماعية الذي أعلن عنه صاحب الجلالة نصره الله، تقدما رئيسيا في مجال الإنصاف الاجتماعي وصيانة كرامة مواطنينا.

اختيارات مالية عقلانية

أجبرت الأزمة أغلبية الدول على تغيير توجهاتها في مجال التدبير المالي. ومن أجل دعم المؤسسات ومساعدة الأسر وتعزيز النظام الصحي، ليس هناك من خيار سوى اللجوء إلى الاستدانة. وإذا كان ضروريا القيام باختيارات مالية عقلانية، فلا يجب مع ذلك تعقيد وضعية البنيات التي تعتمد على تمويلات الدولة (الجماعات الترابية، القطاع الخاص والمؤسسات العمومية العاملة في مجالات لها علاقة بالميدان الاجتماعي والتشغيل). وإن التخلي على الصرامة المالية أمر جد ممكن، شريطة أن تكون الاستدانة موجهة فقط نحو استثمارات محدثة لمناصب الشغل والثروة (ستقترض فرنسا على الأقل 90 مليار أورو، وارتفع الدين العمومي في الولايات المتحدة الأمريكية إلى 107% من الناتج الداخلي الخام. وألمانيا التي تتمتع بفائض مالي منذ 8 سنوات، ستلجأ للاستدانة لتمويل مخطط انتعاشها). وينبغي أن تنطبق الاستدانة، إلى جانب مبادرات أخرى في مجال الحكامة المالية، على كل الهياكل العمومية، بما فيها الجماعات الترابية (ترشيد مصاريف التسيير، التدبير النشط للدين، تعزيز الادخار الوطني، إعادة هيكلة محفظة القطاع العام، تشجيع التعاقد وانتقاء جيد للخيارات المالية التي تعطي الأسبقية لتدعيم إصلاحات الموازنة، التقاعد وتشجيع التشغيل). وهذا سيخلق هوامش مفيدة للتحرك المالي.

الطلبيات العمومية كرافعة أساسية للانتعاش الاقتصادي

في إطار إستراتيجية الانتعاش الاقتصادي، يجب أن يُفعل بقوة طلب القطاع العام (الدولة، المكاتب والمؤسسات العمومية والجماعات الترابية) كأداة لدعم النشاط الاقتصادي

(الصفقات العمومية). وينبغي بالتالي العمل على الحفاظ على أقوى مستوى ممكن، ليس فقط خلال سنة 2020، بل أيضا خلال السنوات القادمة. ويجب أن يُثمن ويُكمل هذا المستوى من الاستثمار، الاستثمارات التي سبق الالتزام بها بالنظر لأهميتها الإستراتيجية (السدود، السكك الحديدية، الأمن الطاقي، الميناء الطاقي غرب المتوسط...)، من جهة، والاهتمام بالقطاعات التكنولوجية ذات القيمة المضافة المرتفعة (الرقمي والتكنولوجيا الحيوية والبيانات الكبرى والاقتصاد الأخضر وبنيته التحتية ...)، من جهة أخرى. والطلبيات العمومية هي أيضا رافعة ممتازة لجلب الاستثمارات المناسبة لتدعيم التشغيل والاندماج، وأيضا لجلب الاستثمارات المحلية المشتركة التي تمكن من المساهمة في الانتعاش الاقتصادي.

من الصندوق الخاص (حساب كوفيد) نحو دخل للتضامن

أظهرت الأزمة الصحية مدى حجم الهشاشة التي يعيشها جزء عريض من المجتمع المغربي (حوالي 5 إلى 6 مليون أسرة تعتمد على دعم الدولة). وهذا الواقع، علاوة عن كونه يطرح من جديد إشكالية القطاع الغير مهيكل وتوزيع ثمار التنمية، يسائلنا بخصوص إرساء دخل أدنى. ويتعلق الأمر بالطبع بموضوع (ورش اجتماعي طموح) يجب أن يباشر بالكثير من الحذر والواقعية. ويفترض وضع مثل هذا النوع من الحماية الاجتماعية تأمين تمويله واستمراريته (نموذج جديد للتنمية). وفي هذا الصدد، من المهم التأكيد بأن التفكير في إحداث دخل تضامني نشط لا يمكن عزله عن التفكير في إصلاح صندوق المقاصة وعقلنة مختلف الآليات المالية ذات الغاية الاجتماعية. وتضاف إلى ذلك إشكالية استهداف المستفيدين من المساعدات. فبدون التفعيل السريع لسجل اجتماعي طال انتظاره، ستظل الجهود المبذولة لفائدة الأسر المعوزة تعتبر الموارد المحدودة المخصصة للإعانات الاجتماعية، التي ينبغي أن يخضع تدبيرها وتوزيعها لقواعد صارمة للشفافية والاستهداف والتي تشمل أيضا التزامات لفائدة العائلات المستفيدة (الصحة والتربية).

إشكالية القطاع الغير مهيكل والهشاشة الاجتماعية

أظهر البحث الميداني الذي أنجزته المندوبية السامية للتخطيط سنة 2014 بأن القطاع الغير مهيكل ساهم بما قدره 11,5% من الناتج الداخلي الخام، وهي مساهمة قُدرت بـ 20% (باستثناء القطاع الأولي) حسب دراسة أنجزتها الكنفدرالية العامة لمقاولات المغرب في أبريل 2018.

استثمارات حديثة بالقطب التكنولوجي لوجدة

ومن غير المستبعد، بعد هذه الأزمة، أن ينزلق عدد من مقاولات القطاع المهيكل نحو القطاع الغير مهيكل. لذا، فإن الحصافة والواقعية تفرض علينا أن نعتبر بأن هذا القطاع سيظل لعقود عدة ملازما لاقتصادنا ولمجتمعنا ولإدارتنا، الخ. وكل إجراء قسري للقضاء عليه هو بالطبع غير وارد. فالتدابير التحفيزية وحدها (اجتماعية وجبائية بالخصوص) الكفيلة في الأمد البعيد بتقليص جاذبيته للمستثمرين وأهميته الاقتصادية. وهو ورش يمتد لعدة انتدابات. وقد تساهم الأزمة الصحية في تأخيره.

من أجل سلوك اقتصادي وطني ومواطنة جبائية

من واجب الطبقة السياسية أن تهتم وتضطلع بهذا الموضوع. كما يجدر تحسيس المغاربة برهانات استهلاك المنتجات الوطنية (الميزان التجاري، المحافظة على العملة، استقرار الشغل والمحافظة عليه، الخ.). وينبغي أن يصاحب ذلك حد أدنى من الاستقلالية في المجال الغذائي والصحي، وخاصة في جانبه المتعلق بالأدوية والتجهيزات والمعدات الطبية الأساسية.

ومن بين الدروس الأساسية للأزمة الصحية بالمغرب بروز ثقة المواطنين في مؤسسات البلاد. وبالفعل، فقد لعبت الدولة بفضل التوجيهات الملكية دورا مركزيا في تخفيف وقع الصدمة الاجتماعية (والمحافظة على التماسك الاجتماعي) بإعمال التضامن المؤسساتي عبر إحداث حساب كوفيد. وينبغي استغلال هذا الرصيد من الثقة لبناء المواطنة الجبائية (الفصل 39 من الدستور)، سيما في اتجاه المهن الحرة. ومن جانب آخر، يجدر رفع الاستثناء الجبائي الذي يستفيد منه القطاع الفلاحي الذي يخضع لجباية هامشية وبشكل رمزي ومراجعة المصاريف الجبائية الأخرى ذات الأثر الضعيف على الاقتصاد.

نفس الأمر بالنسبة للأنشطة والقطاعات والفاعلين الذين يحققون (أو يتوفرون) على هوامش مريحة والتي ينبغي أن تكون مساهمتها الضريبية موازية لمساهمة الفاعلين الآخرين وفي مستوى الانتظارات (الأبناك، شركات التأمين، شركات التحويل الزراعي، قطاع الاتصالات، مصانع الإسمنت، المقاولات العاملة في القطاعات الأقل تضررا من الأزمة).

سلسلة من التدابير لإنعاش اقتصاد جهة الشرق على قواعد جديدة

محمد الصابري
المدير العام للمركز الجهوي للاستثمار
جهة الشرق

يجتاز العالم أزمة لا مثيل لها. وقد فرض تفشي كوفيد-19 إرساء حجر للساكنة كتدبير أولوي لمواجهة الجائحة. وقد أدى هذا الحجر إلى توقف تام وفجائي للأنشطة مما أثر بشكل قوي جدا على الاقتصاد. كاتب هذا المقال من مواليد وجدة، حاصل على شهادة الدكتوراه في التسويق، مارس التدريس الجامعي وعمل إطارا في القطاع المصرفي. يفسر لنا هنا كيف تحاول جهة الشرق تجاوز هذه الوضعية غير المسبوقة.

لم تستطع المملكة التي اتخذت بسرعة كبيرة قرار إرساء حالة الطوارئ الصحية، تجنب أثر هذا الوباء على اقتصادها مع كل التداعيات السلبية على النمو والبطالة ومواصلة السياسات العمومية. فبغض النظر عن الجهود المحمودة التي بذلت إلى حد الساعة، ينبغي الانكباب على مستقبل تضرر كثيرا من هذه الأزمة.

المركز الجهوي للإستثمار
Centre Régional d'Investissement
Région de l'Oriental - جهة الشرق

وسيكون إعادة النشاط الاقتصادي صعبا وسيكون على الدولة أن تتدخل، مرة أخرى، لدعم اقتصادها في سياق عالمي يتميز بالركود، وذلك عبر سياسات نقدية ومالية ملائمة.

وسواء استطاع اقتصادنا أم لم يستطع تجنب الركود، فإن الطريق إلى النمو على ضوء هذه الظرفية يتوقف على مجموعة من الفرضيات، مثل موسمية الفيروس، وفترة التأخير قبل انتعاش الطلب.

كيف سيكون الحال بالنسبة لاقتصاد جهة الشرق، الذي كان يشكو قبل الأزمة من آلام مرتبطة بتقهقر القطاع المنجمي، وتبعيته للتساقطات المطرية، وبعده الجغرافي عن المركز الاقتصادي للبلاد، والحدود المغلقة وكذا من ضعف القدرة على خلق القيمة للقطاعات المنتجة ؟

تدابير هيكلية لإنعاش النمو الاقتصادي لجهة الشرق

لقد جاءت ظاهرة الوباء، التي تعتبر عابرة بالنسبة للبعض والتي ربما تستمر طويلا، لتُعقد الحالة الصحية للاقتصاد الجهوي الذي كان يشكو منذ سنوات طويلة من نقص في الجاذبية والتنافسية.
ولم تكن الاستثمارات العمومية الضخمة التي ضخت بالجهة بين 2003 و2019 والبنيات التحتية المتميزة التي نتجت عنها، كافية لتشكيل رافعة لتحفيز القطاع الخاص.

ورغم تماثل نسبة الضرائب، والنسب البنكية وكلفة الوسائل مع المراكز الاقتصادية للمملكة، فإن الجهة تشكو من بعدها (الفاتورة اللوجيستية)، ومن سوقها المحدودة ومن حدودها المقفلة.
ومن أجل تأمين الانتعاش الجهوي، نقترح ستة تدابير هيكلية ستمكن، إلى جانب تجاوز الظرفية الحالية، من الارتقاء بجهة الشرق إلى مستوى الجهات المحدثة للثروات ومناصب الشغل.

1. الإسراع في الموافقة على ميثاق الاستثمار لإنعاش الاقتصاد الجهوي

ينبغي إعادة النظر بعمق في ميثاق الاستثمار حتى يأخذ بعين الاعتبار الخصوصيات الجهوية. وينبغي اعتبار جهة الشرق ضمن الجهات المحرومة، وعليها أن تستفيد من نظام جبائي جذاب ونظام دعم ناجع لتثمين مؤهلاتها وإمكاناتها، إلى جانب اعتبار كابحات انطلاقتها الاقتصادية، وخاصة بُعدها الجغرافي.

2. لا مركزة تسيير صناديق الدعم من أجل تشجيع الاستثمار الخاص بالجهة

يبدو أن الاستثمار الخاص بالجهة لا يستفيد من الإعانات التي أقرتها الدولة، إما لأن مقاولات الجهة تعمل في قطاعات لا يشملها نظام الدعم، وإما لأن الاستثمار لن يصل العتبات المطلوبة. وسيسمح التدبير اللاممركز للصناديق تكييفا أفضل للتخصيصات للحاجيات الحقيقية للاقتصاد الجهوي.

3. اعتماد سياسة نقدية ومالية ملائمة لحاجيات مقاولات الجهة

ينبغي لمساهمة المصارف في الاقتصاد أن تطور هندسة مالية تتناسب مع الظرفية. فمقاولات الجهة تحتاج من أجل تدارك الخسائر المتراكمة خلال هذه السنة والانطلاق مجددا في الإنتاج والخدمات، إلى قروض خزينة وقروض استثمار بسبب ضعف الرساميل الذاتية. ومن أجل تجنب انعدام التوازن في حصيلة المقاولات التي عليها أن تواجه تحملات سيولة الخزينة، ولكن أيضا تحملات الإهلاك أو أيضا تسديد أقساط القروض المتوسطة والبعيدة الأمد، بإمكان المصارف أن تعيد جدولة الديون مع آجال سماح أو أيضا أن تحولها إلى قروض في النهاية.

في الأعلى، المدخل الرئيسي للمطار الجديد لوجدة
في الأسفل، صورة من الطريق السيار فاس- وجدة

وبتأخير تاريخ سداد القروض حسب ظروف المقاولات، فإن المصارف ستعطي الأوكسجين اللازم للمقاولات دون زيادة ملموسة في حجم القروض ودون طلب ضمانات إضافية. وكلما كانت شروط النسب والضمانات إيجابية ومرنة، كلما استطاعت المقاولات أن تعود لنشاطها مجددا وبسرعة.

4. إحداث صندوق جهوي لدعم المقاولات في وضعية صعبة، ومنها المقاولات الصغيرة جدا، والصغيرة والمتوسطة، «صندوق مصاحبة»

ستقوم الدولة دون شك بدعم المقاولات في وضعية صعبة لتجنب ضياع مناصب الشغل. وسوف تتكفل الدولة بالتأكيد بالقطاعات التي تضررت أكثر بالأزمة بجهة الشرق (السياحة وقطاع النسيج). لكن القطاع الاقتصادي بالجهة يتكون بشكل واسع من المقاولات الصغيرة جدا والصغيرة والمتوسطة ذات الأنشطة المختلفة، التي يمكن إزاحتها من مجهر السياسة المالية للدولة : الصناعة التحويلية، (قطاع التجار)، قطاع المطاعم، قطاع تنظيم التظاهرات والحرف... فإحداث صندوق لدعم المقاولات في حالة صعبة على الصعيد الجهوي ستمكن من دعم هذه الأنشطة.

بوسع هذا الصندوق أن يتدخل على نحو مختلف :

- دعم المقاولات التي مستها الأزمة والتي تلتزم بالمحافظة على الوظائف المعلن عنها سنة 2019 ؛
- قروض ربط على شكل سلفات شرف ؛
- كفالة لدى المصارف في حالة عدم كفاية الضمانة.

5. إحداث صندوق لتحويل الأنشطة المستوردة إلى أنشطة منتجة «صندوق مواطنة»

حان الوقت لتفعيل التفضيل الوطني. وينبغي لصندوق مواطنة أن يمكن من تحويل المستوردين إلى منتجين محليين. ويقوم هذا الصندوق بتمويل الفارق بين سعر تكلفة الاستيراد وتكلفة الإنتاج المحلي. ويمكن حساب تخصيص توزيع الصندوق على أساس إهلاك الاستثمار وأثر الخبرة. وتعرف الجهة تجربة ناجحة : جمعية كرامة، التي استفادت من الدعم عبر تعبئة الأراضي بأسعار محسنة، تضم اليوم 35 مقاولة تستثمر بسلوان (إقليم الناظور) في الميادين الصناعية المتنوعة وتعتزم تصنيع مواد كان المقاولون يستوردونها في السابق.

6. من القطاع غير المنظم إلى ريادة الأعمال

تمثل المبادرة المحمودة للمغرب في هذه الظروف اتجاه العاملين في القطاع غير المهيكل فرصة لوضع «إستراتيجية لتأطير القطاع غير المهيكل». وعليه أن يأخذ بعين الاعتبار الخصوصيات الجهوية ويمكن من وضع برامج هادفة.

في الأعلى، أحد المجموعات العمرانية للسعيدية
في الأسفل، صورة من الساحة المركزية للمتحف المستقبلي لجرادة، قيد الإنجاز

مبادرات محلية للانتعاش الاقتصادي

1. إبراز مؤهلات الجهة لإعادة توجيه تموقعها الاقتصادي في المحيط المتوسطي

على جهة الشرق أن تواصل انطلاقتها الاقتصادية، بالاعتماد بالخصوص على مؤهلاتها الواضحة وسياسة انفتاحها على الخارج.
ويمكن لميناء غرب الناظور المتوسط، الذي يتواصل بناؤه، وكذا للمناطق الداخلية الصناعية، أن تتموقع في عدة مهن كانت تبدو في السابق صعبة المنال، لكن بإمكانها الآن أن تنمو بالجهة، وخاصة مع تراجع العديد من القطاعات بالصين وأوروبا الشرقية.

2. تسريع الانتقال الرقمي ودعم عالم المعرفة

لقد أبانت تجربة الأزمة الصحية الأهمية بالنسبة للمجالات الترابية للتوفر على بنية تكنولوجية متطورة وعلى قدرة ابتكار كفيلة بتأمين تفاعل يستجيب لحاجيات الاقتصاد المحلي والسكان.
ويجدر إذا توفير المزيد من التشجيع للبحث العلمي والتكنولوجي، والارتقاء بمبادرات البحث والتنمية وجعل الجامعة رافعة حقيقية لتحسين التنافسية الترابية.

3. العمل على مكونات الطلب الداخلي لإنعاش النمو الاقتصاد الجهوي

من الضروري، في المرحلة الأولى، إعطاء حيوية للاقتصاد الجهوي بتشجيع الاستهلاك فيما بين المقاولات واستهلاك الأسر على مستوى الجهة :

- تشجيع عودة سريعة لنشاط النسيج الإنتاجي، بالاستفادة من سعر منخفض للبترول وتدابير مالية ونقدية محفزة ؛
- تأمين موارد جارية للساكنة النشيطة وتجنب فقدانه مناصب الشغل ؛
- تحسين استهلاك الأسر ؛
- توجيه الاستثمار وتشجيع إحداث (أو إعادة نشاط) أنشطة جديدة.

وقد يمكن بروز أمكنة تسويق من مقاولة لأخرى من خلق فرص للأعمال لفائدة مقاولات الجهة من أجل الاقتناء المحلي لما ينتج محليا.

4. تشجيع الأنشطة التصديرية بدعم المقاولات الجهوية

أصابت هذه الأزمة الاقتصادية العديد من القطاعات على الصعيد العالمي وسوف تغير تدفقات الواردات والصادرات. وسوف تضع العديد من الدول تدابير حمائية وستحتاج دول أخرى إلى بعض المنتجات ذات الضرورة الأساسية، وخاصة المواد الغذائية.
وعلى سبيل المثال، يفتقر القطاع الفلاحي بإسبانيا إلى اليد العاملة في ظرفية الأزمة هذه.

5. تقليص البطالة عبر دعم صندوق الاستثمار لجهة الشرق للمقاولات المتضررة بالأزمة

صندوق الاستثمار لجهة الشرق مدعو للعب دوره وينبغي أن يسخر كرافعة للإنعاش الاقتصادي. ويمكن تعبئة الموارد المالية انطلاقا من رأسمال المخاطرة (عبر أخذ مساهمات) إلى تدخلات عبر قروض السندات، أو خطوط كفالة على شكل ضمانة للمقاولات المتضررة بالأزمة. والعديد من تدخلات الصندوق مقبولة ومعقولة.

مقر صندوق الاستثمار الجهوي لجهة الشرق بوجدة

6. تعزيز سجل الطلبيات العمومية بالجهة وتنشيط التفضيل الجهوي

مواكبة مقاولات الجهة لكي تستطيع الرفع من حصتها في سوق الطلبيات العمومية الجهوية.

7. دعم البحث العلمي والابتكار

في مواجهة الضرورة المستعجلة لتكثيف الأبحاث والابتكار الجهوي، يجدر إعطاء الانطلاقة لطلب إسهامات علمية من أجل انتقاء ودعم مشاريع متعددة التخصصات حول فيروس كورونا في الميادين العلمية والاجتماعية والاقتصادية والطبية والوبائية.

وينبغي أن تمثل الدراسات المقترحة إسهامات علمية ومنهجية وتجريبية مطبقة على جهة الشرق.

8. استقطاب تحويلات المغاربة القاطنين بالخارج

إنه من المستعجل وضع التدابير مع المصارف لإستقطاب أقصى حجم ممكن من تحويلات المغاربة القاطنين بالخارج (تقليص كلفة التحويل، حملة ترويجية في بلدان الاستقبال، التأثير على معدل الصرف).

9. إعادة هيكلة القطاع غير المهيكل

يرتكز برنامج المواكبة على خمس مراحل :

- تحديد السكان المستهدفين حسب المهن والأوساط ؛
- تحديد المقاولات التي تغذي الأنشطة غير المهيكلة بالمواد الأولية (الداعمون) ؛
- تقدير وتقسيم الساكنة المستهدفة للقطاع غير المهيكل حسب شكلها ؛
- مخطط العمل من أجل التحول (التكوين، خلق الوضعية القانونية، نموذج الأعمال، جمع الأموال) ؛
- التتبع والكوتشينغ (تنمية الأعمال واستدامة النشاط).

وسيمكن البرنامج من بلوغ ثلاثة أهداف :

- تحديد القطاع غير المهيكل ووضع قاعدة معطيات مفيدة لمشاريع التنمية الاقتصادية ؛
- إشراك الداعمين في التكفل بالمواكبة وتنمية ثقافة الرعاية ؛
- الرفع الأمثل وتثمين عمليات المساعدات المالية التي وضعتها الدولة والمساهمات المصرفية والشبه مصرفية.

10. تشجيع تشغيل حاملي الشهادات الشباب بواسطة التكوين الإدماجي

يتعلق الأمر باحتضان حاملي الشهادات الشباب في مسارات للتكوين الإدماجي في الوسط المهني وفي مهن واعدة.

يشكل مجموع هذه التدابير كلا منسجما ومتكاملا ليأخذ بعين الاعتبار الواقع الجهوي باختلاف أوجهه وصعوباته.

النمو والمجالات الترابية : المعادلة الجديدة للعولمة

بقلم فتح الله السجلماسي، سفير سابق[1]
وإيمان مريم بنكيران،
مديرة مدرسة أوروميد (Euromed) للهندسة المعمارية والتصميم والتعمير

يدعم الإتحاد من أجل المتوسط، الذي كان يحتل فيه السيد فتح الله السجلماسي، منصب الأمين العام، الجامعة الأورومتوسطية لفاس. وبالنظر لمداها متعدد الاختصاصات وطابعها الدولي إضافة إلى إشعاعها الجهوي، فإن هذه الجامعة تعبأ المدرسين والباحثين الذين يغطي حقل اختصاصهم على حد سواء الفضاء المغاربي وأوروبا. والكاتبان في موقع يسمح لهما لكي يقدموا قراءتهم على التقرير الجديد بين العولمة والمجالات الترابية.

سبق

أن أدى اختلال التوازن الناجم عن العولمة كما مورست خلال العقود الأخيرة إلى تفكير عميق حول الآليات التصحيحية التي ينبغي اتخاذها : حكامة، تقليص الفوارق الاجتماعية ومحاربة التغير المناخي... وتعكس الأهداف السبعة عشر للتنمية المستدامة التي تم تبنيها في شتنبر 2015 الأسبقيات التي حددها المجتمع الدولي في هذا الصدد.

جاءت أزمة كوفيد-19 سنة 2020 لتسريع البديهيات : على العولمة أن تصبح أكثر إنسانية، وذات طابع اجتماعي أكبر، وأقرب إلى حاجيات المواطنين. لا يتعلق الأمر بالرجوع عن العولمة. على العكس، فإن الأزمة الصحية، جاءت لتبين بأن مصير ورفاهية الدول هي مرتبطة أكثر من أي وقت مضى. لكن على هذه العولمة أن تصبح أكثر جودة وأقل حصرية من حيث الكم. لقد هزت الأزمة الصحية الحالية غالبية الآليات الجيواقتصادية القائمة وتُساءل المبادئ الحالية للعولمة.

فظهور الوباء قلب إذا المنظومات القائمة. وتعرضت حرية حركة الأمتعة والأشخاص لعراقيل عدة، مما أدى إلى تراجع وانكماش ستمتد آثارهما لعدة سنوات. والدراسات والتوقعات متفقة بهذا الخصوص. وفي سياق الأزمة الصحية، ستكون الاقتصادات العالمية بحاجة إلى النهوض والانتعاش ومراجعة عميقة. وتلتقي التحاليل للإشارة بأن التوجهات الكبيرة للسنوات المقبلة ترتكز على المحاور التالية :

- الأسبقية المخصصة لـ «قطاعات الحياة» (التربية، الصحة، الأمن الغذائي وحماية التنوع البيولوجي) ؛
- ضرورة التسريع الرقمي ؛
- فوائد ومزايا نمو أخضر.

إن هذه المحاور الثلاثة في قلب أهداف التنمية المستدامة. والأزمة الصحية لا تأتي إذا لإعادة النظر فيها، بل بالعكس، فهي تبرز حصافتها وتؤكد ضرورة تسريع تفعيلها. وسيمكن عنصر أساسي من المساهمة بشكل ملموس في هذا الهدف : وضع المجالات الترابية في مركز المعادلة.

المجالات الترابية في مركز المعادلة

لقد بينت هذه الأزمة، بالفعل، مدى قوة تبعية الشمولي للمحلي. وبالتالي، فإن «توقف» الوقت الذي فرضه الوباء قد يستحق، علاوة على التحديات الضاغطة في الأمد القريب، أن تعتبر كفرصة : فرصة قلب قراءة إشكالية النمو الاقتصادي بجعل المجالات الترابية رافعة للتنمية.

ولا يسعنا اليوم إلا أن نعترف بأن القطاعات الأقل مقاومة للأزمة هي القطاعات التي تندرج مباشرة و/أو بشكل غير مباشر في الديناميات الاقتصادية العالمية، مما ارتد على مجموع الساكنة المحلية العاملة بهذه القطاعات.

أما القطاعات المتأثرة أقل، فهي القطاعات المرتبطة بسلاسل الإنتاج، التحويل والتوزيع المحلية، التي تعني المنظومات الاقتصادية الصغيرة جدا. وتتغذى هذه الديناميات المحلية من المهارات، وتعبئ موارد التحويل والتوزيع. كما أنها تجد أسواق القرب وتولد ديناميات سوسيو اقتصادية دقيقة. وللمفارقة، فهذه الديناميات الاقتصادية المحلية، التي لا تنفصل عن مجالاتها المحلية، تتبع أحيانا لقطاعات على هامش الأولويات المحددة إلى حد الساعة تقريبا، لأنه إلى غاية شهر فبراير الماضي، فإن الكلمة الفصل كانت هي الاندماج في المنطق والآليات الدولية.

ويُمَكن التركيز على الإشكاليات البنيوية السوسيو اقتصادية التي ولدها الوباء من أن نستشف بأن هذه الإشكاليات نفسها تحمل سبل الإجابة والحلول التي ترسم تجمعات ومجالات ترابية مبدعة، تتغذى من إمكاناتها المحلية وتدعمها من أجل الصمود على المستوى الشمولي. وسيمكن ذلك من تدبير أفضل لآثار الانكماش الحالي لتدعيم عوامل النمو المحلي والجهوي بشكل مختلف.

وبالفعل، فإن الأزمة الصحية الأخيرة أظهرت، من جهة، الضرورة المطلقة لبروز قيم بنيوية تجمع بين التضامن والقابلية السوسيو اقتصادية ومن جهة أخرى، دخول الرقمي على الساحة كفاعل مهيمن من الآن فصاعدا.

وللمكونين الاثنين بحكم الواقع رابط لا ينفصم مع المحيط المادي الذي يظهران فيه وانتفاء الوقت، والوسائل والفضاء ينبغي أن يوجه نظام الحكامة الترابية. وهذا الأمر يمر قسرا عبر ضرورة ابتكار نماذج سوسيو-اقتصادية جديدة تستند ليس كما سبق على مقاربات شمولية، بل على مقاربات نوعية ومحلية لتدعيم مؤهلاتها من أجل عودة أفضل نحو الشمولي.

التحدي : التوجه الحصري المتزايد للمجالات الترابية

حسب المنتدى الاقتصادي العالمي[2]، «*مواطنو إفريقيا، الذين يبلغون حاليا 1,1 مليار نسمة، قد يتضاعف عددهم مرتين في سنة 2050 وأزيد من 80% من الزيادة ستحصل بالمدن*». وتدعم الوقائع السوسيولوجية لهذا التطور الديموغرافي مختلف أوجه هذا المنحى. ويشير نفس تقرير المنتدى المذكور بأن : «*هناك 70% من الأفارقة الذين يقل عمرهم عن 30 سنة. ويمثل الشباب حوالي 20% من الساكنة، 40% من الساكنة النشيطة و60% من العاطلين*».

إلا أن المدن تتطور ضمن نظم بيئية ترابية حيث تشكل فيها في الغالب القلب الاقتصادي. فربح المعركة الشاملة لأهداف التنمية المستدامة، بما فيها خلال الحالات المستعجلة التي فرضتها الأزمة الصحية لكوفيد-19، هي أولا ربحها على المستوى المحلي والترابي. وفي هذا الصدد، هناك ثلاثة عناصر أساسية :

- الاعتراف بأن المجالات الترابية المحلية هي الأماكن الأليق لتفعيل العمليات لفائدة المواطنين وكذلك من أجل تقييم حقيقي لآثار السياسات العمومية المرصودة خاصة لولوج الخدمات الأساسية (الماء، الطاقة، التربية والصحة) ؛
- إيجاد التوازن الصحيح بين الأهداف الوطنية والعالمية وواقع وخصوصيات المجالات الترابية (فكلها لا تتشابه وقوتها يمكن أن تكمن في اختلافاتها. والمقاربات الصاعدة ينبغي أن تصرف مع اعتبار الخصوصيات والأسبقيات الترابية) ؛
- تدعيم التعاونات الدولية بين الهيئات اللامركزية (ممارسات جيدة، تبادل التجارب والخبرات التي تمكن من بعث ديناميات إيجابية للجميع. وفي هذا الإطار يعتبر التعاون جنوب-جنوب أساسيا).

الجهوية المتقدمة والنموذج الجديد للتنمية

بفضل توجيهات صاحب الجلالة الملك محمد السادس، نصره الله، استبق المغرب هذه التطورات بالشروع منذ بضع سنوات في مسلسل مزدوج للجهوية المتقدمة ونموذج جديد للتنمية، مع دينامياته المحلية والترابية. فالمغرب يتوفر، من طنجة إلى الكويرة، على ميزات هائلة من أجل تثمين إمكانات ثقافية واقتصادية محلية في إطار دينامية وطنية تمكن، بدورها، البلاد من لعب دوره في الجهود المبذولة من طرف المجتمع الدولي لبلوغ أهداف التنمية المستدامة.

تعتبر قطاعات الاقتصاد والابتكار الاجتماعي، والصناعة التقليدية والسياحة والثقافة والفلاحة والصناعات الغذائية والصيد والصناعة والنقل واللوجستيك... من بين القطاعات العديدة التي تشكل التنافسات المحلية عبر مناطق البلاد والتي، في صيغتها المدعمة، تمثل القوة الاقتصادية للمملكة.

سنة 2010، صاحب الجلالة يدشن المحطة الحرارية الشمسية لعين بني مطهر

صورة جوية لبحيرة مارشيكا مع موقع المدن السبعة

من منظور الجهوية المتقدمة والنموذج الجديد للتنمية، فإن الأزمة الصحية الحالية قد تصبح فرصة حقيقية بتعزيز دور المجتمع المدني، مع شركات مبدعة بين هذا المجتمع والمجتمعات المحلية والترابية والجامعات والمقاولات. وهذا التعزيز يمر بالضرورة أولا بالمزيد من إبراز الابتكارات الاجتماعية التي تتم محليا من أجل الاستفادة من قدرة التحمل المحلية المتوفرة، عبر دراسة وكشف :

- المنظومة السوسيو-اقتصادية الموجودة، أو الناشئة و/أو الكامنة (تجميع ورقمنة المعطيات، تحديد الفاعلين والمشاريع، تشبيك المشاريع والكفاءات، تحديد المعلومات مجاليا...) ؛
- الإجابات/الحلول الاقتصادية الموجودة و/أو الناشئة تشمل تلك التي تبرز قدرة الابتكار والتجديد بالنظر للقوانين الجاري بها العمل.

يؤدي وضوح وتقييم الديناميات الاقتصادية المحلية إلى توجيه التنمية ووضع نماذج مبدعة للشراكة بين مجموع الفاعلين المتدخلين بإنتاج نموذج جديد للتكامل أكثر توافقا مع المهارات المحلية ومع الطابع الترابي، وبالتالي أكثر قابلية للاستمرار اجتماعيا وإيكولوجيا.

جهة الشرق : مؤهلات تنموية في قلب المتوسط

تعتبر جهة الشرق إستراتيجية على أكثر من صعيد. وهي بموقعها في ملتقى المغرب الكبير، ومنطقة البحر الأبيض المتوسط، وأوروبا وإفريقيا، فإن هذه الجهة التي تساوي مساحتها مساحة دولة كالنمسا، سبق أن ولجت دينامية للنمو والتنمية. وبالنسبة لمن يعرف جهة الشرق، فإن البنيات الأساسية عرفت خلال السنوات العشرين السابقة تنمية مذهلة. وقد مكنت المبادرة الملكية لتنمية جهة الشرق والتي انطلقت في مارس 2003 من تنمية العديد من المشاريع المهيكلة بالنسبة للجهة : المحطة السياحية للسعيدية، بحيرة مارشيكا (نموذج جميل لسياحة إيكولوجية اكتشفها العديد من المواطنين المغاربة بسرور وفخر هذا الصيف)، المطار الدولي الجديد وجدة-أنجاد، المحطة الحرارية الشمسية لعين بني مطهر وميناء الناظور غرب المتوسط، حتى لا نذكر إلا هذه المنجزات...

تعتبر قطاعات مثل الطاقات المتجددة، الاقتصاد الأزرق، الفلاحة والصناعة الغذائية، التربية، الصحة والثقافة، من بين المؤهلات بالنسبة لجهة لم تعد بعيدة عن العاصمة الرباط إلا بخمس ساعات بالسيارة بفضل الطريق السيار، أي تقريبا ما يساوي المسار بين باريس وستراسبورغ ! ورغم الظرفية الصعبة، فإن الجهة تتوفر على الإمكانات الأكيدة لتتمكن من تسريع انطلاقتها الاقتصادية. وكل إمكانات جهة الشرق ضرورية لتقليص الفوارق الترابية المستمرة ما بين الجهات رغم التنمية الجهوية السريعة. تضم جهة الشرق 28 جماعة حضرية و96 جماعة قروية، والتنمية المندمجة، المتوازنة والشاملة، هي إذا هدف أساسي ليس فقط بالنسبة للجهة، ولكن أيضا بالنسبة لإسهامها في الاقتصاد الوطني ولتدعيم موقعها على الصعيد الدولي.

وتمكن دينامية المجتمع المدني ودينامية مغاربة الخارج من الاستفادة من هذه الإمكانات الواعدة. وهذه النماذج الجديدة سوف تبرز الديناميات الاقتصادية الذاتية تحت رعاية أهداف التنمية المستدامة، مع المحافظة في خط البصر على سلاسل القيم العالمية. وسيمكن رصيد نمو وتنمية هذه الجهات المغرب من تدعيم أكثر لدوره الفعال لبلوغ أهداف التنمية المستدامة، ولا سيما على الصعيد الإفريقي. وإلى حد الساعة، كانت المجالات المحلية تنظر إلى العولمة. والآن على العولمة أن تنظر إلى المجالات. وجهة الشرق التي اكتسبت حيوية بعد الزيارة الملكية، هي جهة ينبغي النظر إليها باهتمام، وذلك عبر :

- نمو جديد ذاتي وشامل ؛
- إسهامها كما وكيفا في الدينامية التي أنتجها النموذج الجديد للتنمية ؛
- بناء طموح جديد أوروبا-المتوسط-إفريقيا يكون المغرب فيها، وجهة الشرق بالخصوص، تلعب فيه دورا مركزيا.

1- فتح الله السجلماسي هو الرئيس المؤسس لـ Positive Agenda Advisory، وهي مؤسسة للاستشارة في الاستراتيجية والتنمية، وباحث مشارك في معهد RIEMAS - Research Institute for European, Mediterranean and African Studies لجامعة أورومید لفاس.

2- https://fr.weforum.org/agenda/2018/07/les-villes-africaines-auront-double-leur-population-d-ici-2050-voici-4-facons-de-sassurer-quelles-pros-perent/

الإستراتيجية الجهوية لمواجهة كوفيد-19 بجهة الشرق

عبد المالك كوالا
المدير الجهوي للصحة
جهة الشرق

بدأ الكاتب مساره المهني بفجيج. وابتداء من 2003، تقلد مسؤوليات متعددة في الجهاز الصحي الجهوي، دون أن يغادر قط جهة الشرق. وبحكم تجربته الميدانية الدقيقة، فسوف يلعب دورا حاسما في محاربة الجائحة. وهو بالتالي يقدم لنا تحليله للوضعية انطلاقا من خبرته وكفاءته.

لمواجهة

جائحة سارس-كوف2، وضعت المديرية الجهوية للصحة لجهة الشرق، بالتعاون مع المركز الاستشفائي الجامعي محمد السادس لوجدة وولاية جهة الشرق، مخططا للرد الجهوي، يشمل 5 محاور أساسية :

- الحكامة والتنسيق ؛
- اليقظة والرصد ؛
- التكفل بالعدوى ومراقبتها ؛
- التوعية وتعزيز كفاءات الموظفين ؛
- الإخبار والتواصل حول الجائحة.

أعد هذا البرنامج من أجل تخطيط ووقاية أفضل في مواجهة الموجة الأولى للجائحة. وهو يتضمن 3 سيناريوهات حسب تطور وقع الجائحة. ولله الحمد، بقينا في مرحلة السيناريو الأول بفضل الجهود المبذولة ميدانيا من طرف مختلف المتدخلين للحد من انتشار الجائحة. وقد عُدل هذا المخطط احتراسا من موجة جديدة تبعا لمختلف الأحداث التي عرفتها المملكة بعد رفع الحجر : فتح الحدود، وحركية المواطنين (نتيجة العطل وغيرها)، وعدم احترام الإجراءات الحاجزية وتوسيع حجم الفحوصات.

ومن بين أهم التعديلات، المرور من ثلاث سيناريوهات إلى أربعة، باستغلال بنيات غير تابعة لقطاع الصحة، كالداخليات، مراكز الاستقبال، التكفل بالمنزل، مع الأخذ بالاعتبار كل زيادة محتملة للحالات المؤكدة.

لمحة عن الحالة الوبائية بجهة الشرق

في 25 غشت، بلغ عدد الحالات الإيجابية 1 001 حالة من بين 443 86 كشفا تم القيام به بالجهة، منها 227 حالة نشطة، بعد شفاء 752 حالة ووفاة 22 شخصا.

وعلى الصعيد الجغرافي، تحتل عمالة وجدة-أنجاد المرتبة الأولى بـ 34% من حالات كوفيد-19، متبوعة بإقليمي جرادة والناظور.

أهم مؤشرات التتبع

بجهة الشرق إلى غاية 25 غشت 2020 :

- الانعكاس التراكمي (لـ 100 000) : 40,44% (150,15 على الصعيد الوطني) ؛
- معدل الحالات الإيجابية : 1,16% (3,02% على المستوى الوطني) ؛
- معدل التعافي : 75,12% (70,22% على الصعيد الوطني) ؛
- معدل الوفيات : 2,19% (1,75% على الصعيد الوطني) ؛
- معدل تتبع المخالطين : 100% (90% على الصعيد الوطني).

الرصد الصحي الجهوي

1. ارتفاع عرض التجهيزات، المعدات والمواد الصحية

همت العمليات رفع القدرات الاستشفائية وتهيئتها وتحسين شروط استقبال المرضى في مختلف مدن جهة الشرق، وخاصة المدن ذات الكثافة البشرية الكبيرة، والأكثر تعرضا.

تم استيراد تجهيزات طبية وصحية على وجه السرعة ونشرها تدريجيا بالمؤسسات الصحية. كما تم تكوين إحتياطي من الأدوية.
وقد مكن إحداث مختبرين للكشف بكل من المركز الاستشفائي الجامعي محمد السادس بوجدة ومستشفى الحسني بالناظور من إنجاز عدد هام من التحليلات المخبرية ومن تعزيز الكشف والتشخيص المبكر للمرض.

2. التكفل بالمرضى

لقد تم التكفل بالحالات المؤكدة والمخالطين حسب البروتوكولات المعدة من طرف وزارة الصحة، والتي يتم تحيينها بانتظام حسب تطور الوضعية الوبائية. وقد تم وضع مسارات نوعية للتكفل على مستوى مستشفيات الجهة.

3. عمليات التطهير

شملت عمليات التطهير والتعقيم مدن الجهة. وقد أنجزت هذه العمليات في إطار التعبئة العامة لمواجهة وباء كورونا وفقا للتوجيهات الملكية لصاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله. وهي ترمي إلى تطهير وتعقيم مختلف الإدارات والمؤسسات والفضاءات العمومية، التي تعرف توافدا يوميا كبيرا للمواطنين، وخاصة المستشفيات وأماكن عمومية أخرى.

4. حكامة وسياسة تواصلية ملائمتين

تمت تعبئة كل القطاعات الإدارية المعنية ليحصل التحكم الأحسن في الجائحة. وقد اضطلعت لجنة جهوية لليقظة بمختلف جوانب مخطط العمل. كما قامت المديرية الجهوية للصحة عبر المركز الوطني للعمليات الاستعجالية في مجال الصحة العمومية، بمجموعة من العمليات للرفع من مستوى اليقظة في مجال المتابعة الفورية للوضعية الوبائية.
وقد تم إنجاز مخطط تواصلي ذي مصداقية موجه إلى :

- الجمهور العريض (الإخبار المتواصل حول تتبع الوضعية الوبائية بالجهة) ؛
- مهنيي الصحة العموميين والخواص.

المركز الاستشفائي الجامعي بوجدة

كما أنجزت حملات تحسيسية لإبراز خطورة الجائحة للسكان والتدابير والإجراءات الواجب التقيد بها على مستوى الوقاية والنظافة، وكذا أهمية حالة الطوارئ التي تندرج ضمن روح المسؤولية والتضامن الوطني.
وقد استندت نجاعة المجهود الصحي في مجموعه على البرمجة وتنسيق عمليات الأطراف المهنية لمراقبة توسع ووقع الفيروس.
وقد تم تدعيم المقاربة متعددة القطاعات عبر عمليات فعالة، وتنظيم إدارة الأزمة، وكذا التدابير العرضانية للتواصل.

الموارد المعبأة

1. الوسائل المادية المعبأة في مواجهة كوفيد-19

لقد تمت تعبئة أزيد من 150 3 عاملا في مجال الصحة بجهة الشرق، منهم :

- 153 1 طبيبا من كل التخصصات ؛
- 570 1 عاملا شبه طبي ؛
- 427 إداري.

2. التجهيزات

أ- بلغت الطاقة السريرية 959 1 سريرا موزعا على الشكل التالي :

- أسرة العزل (للحالات المشتبه فيها) ؛
- أسرة الاستشفاء (للحالات الإيجابية) ؛
- أسرة العلاجات المكثفة ؛
- أسرة الإنعاش ؛
- الأسرة خارج المستشفيات.

ب. مختبرات التحليلات الطبية

- مختبر المركز الاستشفائي الجامعي محمد السادس لوجدة ؛
- مختبر المركز الاستشفائي الإقليمي الحسني للناظور.

3. تجهيز وإعداد المستشفيات

تم تزويد جهة الشرق بتجهيزات هامة في إطار مواجهة كوفيد-19 : جهاز سكانير بمستشفى السعيدية، وآخر قيد الإقامة بالمركز الاستشفائي الجهوي الفارابي بوجدة، ومختبر ثابت بالناظور لإنجاز فحوصات PCR، وجهاز PCR بالمركز الاستشفائي الجامعي محمد السادس لوجدة. وقد وفرت هاتان الآليتان الأخيرتان الاستقلالية للقيام بعمليات الكشف الضرورية. كما تم اقتناء أسرة استشفائية وللإنعاش في مختلف المستشفيات، إضافة إلى تجهيزات أخرى بيو- طبية مختلفة.
وقد تم تأهيل مستشفيات الجهة، وبخاصة المركز الاستشفائي الجهوي الفارابي، والمركز الاستشفائي الإقليمي الحسني للناظور، والمركز الاستشفائي الإقليمي لبركان والمركز الاستشفائي الجامعي لجرسيف والمركز الاستشفائي الإقليمي الحسن الثاني لبوعرفة.

تغيرت الوضعية الاقتصادية الجهوية مع كوفيد-19

نور الدين الباشري
رئيس الكنفدرالية العامة لمقاولات المغرب لجهة الشرق

كلنا مستعدون لتأكيد مواطنتنا ووطنيتنا من أجل تجاوز هذه الوضعية الصعبة بأقل الخسائر، يؤكد الكاتب. وهو يعرض هنا وعيا واضحا بضرورة دينامية اقتصادية حقيقية لما بعد الحجر لتأمين التنمية والاستقرار والتماسك الاجتماعي بجهة الشرق. لذا، فإن نموذج الحكامة بالجهات يجب أن يتجاوز المستوى الحالي للجهوية.

إن وباء فيروس كورونا التي يضرب بلادنا، رسميا منذ 20 مارس 2020، أظهر العديد من الثغرات في نظامنا الاقتصادي والاجتماعي. وبخاصة ثغرات الحجم الثقيل المتمثل في القطاع غير المهيكل، والذي لا أحد ينكر أثره، إذ أن 4,5 مليون أسرة حصلت على تعويض شهري يبلغ 800 إلى 1 200 درهم. وتضاف إلى هذا الأمر التبعية، حيث أن عددا من الوحدات الإنتاجية توقفت في غياب التمويلات من الخارج.

في الواقع، ستكون الوضعية مختلفة عما كانت عليه قبل كوفيد-19، على الأقل على ثلاث مستويات أساسية :

- ارتفاع البطالة بنسب تختلف حسب القطاعات ؛
- تقهقر العديد من القطاعات التي قد تعلن إفلاسها بصورة جماعية ؛
- الانهيار الحاد للنمو الاقتصادي بتقلص ملحوظ وغير مسبوق للناتج الداخلي الخام.

CGEM

لكل جهة حسب حكامتها

مست هذه الوضعية التي تشمل كل اقتصادات العالم، المغرب أيضا متسببة في آثار مختلفة بكل جهة. وهذه الوضعية الجديدة التي لم نشهد مثلها في السابق تتطلب مقاربات جديدة حتى نأمل الاستفادة وقلب المعطى لفائدة اقتصادنا.

فحينما تقلب الطاولة، فهناك ربما أيضا فرصة بالنسبة للجهات الدائرية لترتقي إلى مستوى قطب حقيقي منافس.

تتطلب الأزمات ردودا مناسبة لكل حالة لإنقاذ المقاولات التي توجد في وضعية صعبة. لذا، يجب إرساء جهوية حقيقية تأخذ بعين الاعتبار رؤية واضحة حول المؤهلات الاقتصادية المحلية والكفاءات التخطيطية والمتابعة والتقييم لكل جهة.

كما أن على نموذج الحكامة بالجهات أن يتجاوز المستوى الحالي للجهوية، بمراجعة النسخة بصورة كاملة تماما وبالذهاب في اتجاه نظرة جهوية مناسبة تثمن الثروات الإنسانية، والثقافية والاقتصادية الخاصة بكل جهة.

ويتطلب هذا الأمر :

- حل المشكل الشائك للقطاع غير المهيكل عبر بدائل لامتصاص البطالة، التي مازالت تضغط بشكل قوي على جهتنا ؛
- تبسيط المساطر ؛
- تشجيع خلق الثروات ؛
- تقديم تدابير تحفيزية لجعلها رافعة للتنمية.

الكنفدرالية العامة لمقاولات المغرب شريك جهوي للتنمية

من هذا المنظور، فإننا ككنفدرالية، نعمل داخل «اللجنة الجهوية لليقظة الاقتصادية». وتتكلف هذه الهيئة بالقيام بعمليات من أجل انتعاش اقتصادي أفضل مع الأخذ بعين الاعتبار المميزات الترابية.

في هذا الإطار، نعمل مع كل الفاعلين العموميين والخواص لوضع تدابير للانتعاش الاقتصادي على الأصعدة المحلية والإقليمية والجهوية. كما أن لهذه اللجنة مهمة متابعة وتنفيذ قرارات «لجنة اليقظة الاقتصادية الوطنية»، وتحليل الوضعية الاقتصادية والاجتماعية للجهة وإعداد اقتراحات وتوصيات تتلاءم مع جهة الشرق.

وهذا النهج الذي تتبناه اللجنة برئاسة السيد والي الجهة يرمي، إضافة إلى المهام المذكورة أعلاه، إعداد برنامج للإنعاش الاقتصادي وفق منهج تشاركي يشرك جميع الفاعلين الاقتصاديين إلى جانب المصالح الإدارية الترابية والمنتخبين، مع أخذ المميزات الجهوية بعين الاعتبار.

وتعمل الكنفدرالية العامة لمقاولات المغرب كعضو في هذه اللجنة، عبر مقاربة قطاعية تأخذ في الاعتبار القطاعات الأكثر تضررا والأنشطة المرتفعة القيمة (الصناعات الغذائية، السياحة والخدمات)، مع تضمين التفكير اقتراحات عرضانية ذات طابع مالي وجبائي.

ومن أجل الحفاظ على هذه القطاعات، ينبغي اتخاذ إجراءات تحفيزية بالتشاور مع الفاعلين الاقتصاديين للحد من مختلف الضغوطات واقتراح الحلول الملائمة، في فترة ما بعد الحجر، إجراءات ضرورية من أجل ضمان التنمية والاستقرار والتماسك الاجتماعي.

الكنفدرالية العامة لمقاولات المغرب لجهة الشرق، هيئة وطنية ومواطنة

نحن نؤمن في الكنفدرالية العامة لمقاولات المغرب، بأن الانتعاش الاقتصادي الهادئ عليه أن يمر وفق البروتوكول الصحي المعمول به في وقته. فكل الفاعلين الاقتصاديين مدعوين إلى الوعي بأن المحافظة على صحة المأجورين، من أطر ومستخدمين وعمال، هي أَولى من كل هدف آخر. إن استعادة النشاط أمر صعب.

فقطاعات عديدة - كالسياحة، حيث تجد المرافق السياحية صعوبة في استعادة نشاطها، ووتيرة إنتاجها أو فقط فتح أبواب مؤسساتها - في حالة صعبة، لكننا نظل على ثقة بقدرتنا على التكيف مع هذه الوضعية الاستثنائية.

فبالنسبة للسياحة، المهددة كثيرا، نادت الكنفدرالية بتدابير واضحة ودقيقة للمساهمة في انتعاش هذا القطاع وما يحيط به بعد زوال الجائحة، وأساسا ما يتعلق بالرسوم المحلية. وهذا القطاع يتطلب حملة قوية للترويج على الصعيد الوطني تناسب الرهانات الجديدة والمستقبلية للسوق الداخلية.

فعلينا أن نوعي المواطنين وجمعيات المستهلكين بضرورة استهلاك المنتجات المغربية وخاصة الجهوية، وهو أمر لا مناص منه للنجاح في فترة ما بعد الوباء. كما أن على الطلبية العمومية أن تتجه نحو المقاولات المغربية مع تفضيل المنتجات الجهوية، مما سيدعم التضامن اتجاه مقاولاتنا. في كل مكان تتعزز هذه الروح الوطنية.

تشجيع «صنع بالمغرب» وتحريك المال

لنشجع «صُنع بالمغرب» لتدارك الخسائر المسجلة في السوق المحلية.

لنفكر أيضا في آجال الآداء والسلفات بين المقاولات، وهو جانب أساسي وحساس من أجل استمرارية النشاط الاقتصادي. وهذا المشكل يمس المقاولات الصغرى والمتوسطة الجهوية، التي حرمت جزئيا من الموارد المالية الهامة التي لها الحق فيها. لذا سيكون من الأخلاقي والمنطقي معاقبة المتقاعسين في الأداء. وبنفس المنطق، نطالب الآمرين بأن ينشطوا الأداءات المتعلقة بالمقاولات الصغرى والمتوسطة التي تقدم الخدمات واللوازم. وسيكون من الأنسب إقامة وجهة تفضيلية بتوجيه جزء من 50% من السلف «ضمان انتعاش» نحو تسديد مستحقات المزودين ومقدمي الخدمات، ومنهم المقاولات الصغرى والمتوسطة والمقاولات الصغيرة جدا.

آراء استسقتها هيئة التحرير

فنادق مغلقة أو خالية من الزبائن...

... نشاط بطيء للصناعات والخدمات

الرقمي حل بديل للانتعاش لما بعد كوفيد-19

نبيل زروال
مقاول،
مبتكر إسكودف (ESCODEVE) المغرب بجرادة

يُعرف الكاتب بإحداثه للعديد من المقاولات : إسكودف، التي أحدثت بباريس سنة 2011، في مجال التكنولوجيات الجديدة للإعلام، ثم اسكودف المغرب بجرادة سنة 2019، في نفس التخصصات، وواواشي (Wawashi)، وهي مقاولة مبدعة تطور تطبيقا للأداء عن بعد. وهو من مواليد مدينة جرادة، سنة 1983، مهندس منذ سنة 2007 في ميدان التشغيل الآلي، والربوت والإعلاميات، احتل المرتبة الأولى في فوجه. اختار جرادة، مسقط رأسه، لإعطاء الانطلاقة لـ إسكودف المغرب، وهي أول مقاولة رقمية بجهة الشرق، التي ستنطلق في العمل قريبا.

كيف يمكن لوباء كوفيد-19 أن يحدث دفعة نمو في حين أن كل الاقتصادات في حالة توقف ؟

وهل بالإمكان تحويل كارثة صحية إلى فرصة، أو هل يجب أن نستسلم وننسى أن الأزمات هي أيضا فرص للانتعاش ؟

من الصعب الإجابة. غير أنه من الممكن اقتناص فرصة الشك لتصور وإرساء سياسات جديدة للتنمية. مقاربات مبنية على سياسات جريئة خاصة بالمجالات الترابية التي تسعى إلى النهوض بمستوى نموها الاقتصادي.

يمكن لجهة الشرق أن تكون مركزا للمغرب بالنسبة لإفريقيا

تبرز كل الدراسات والتحاليل الاقتصادية المنجزة خلال السنوات الأخيرة الأهمية الممنوحة من طرف الدول، سواء منها المتقدمة أو الناشئة، لقطاع التكنولوجيات الجديدة للإعلام والتواصل. وهذا الاختيار الاستراتيجي له ما يبرره على مستويين : أولا، على المستوى الاقتصادي، حيث يشكل هذا القطاع، مع الأنشطة والمهن الجديدة التي تبعه، مصدرا هاما لخلق الثروة وفرص الشغل.

ثم، إن الأثر العرضاني لهذه التكنولوجيات يجعلها في مقدمة عملية إعادة هيكلة الاقتصاد والمجتمع بأكمله.

لنذكر بالمناسبة بأن قطاع التكنولوجيات الجديدة للإعلام والتواصل عرف نموا متواصلا منذ 2001، حيث انتقل من نمو سنوي يبلغ 6,5% بين 2001 و2004، إلى نمو سنوي يصل إلى 10% بين 2004 و2006، ليبلغ نموا متوسطا بحوالي 11% منذ 2007.

وقد كرست الشمولية أو العولمة اليوم كلمة «رقمنة» للتعريف أيضا بطريقة جديدة لمعالجة المعلومة. فالمعطى أو المعلومة، موجودة في كل قطاعات النشاط، الأمر الذي يخلق سوقا لنشاط التكنولوجيات الجديدة.

ما هو الدور الذي يمكن أن تلعبه جهة الشرق، كجهة تَعتبر نفسها ناشئة بالمغرب، في هذا النشاط «الرقمي» الجديد ؟

بمقدور الجهة، لأسباب عدة، أن تلعب دورا أساسيا في هذا الميدان. والسبب الأول يتمثل في التقليص من تكاليف الإنتاج من أجل تنافسية أكبر.

فبالنظر لقربه الجغرافي، ونظامه الجبائي ونظامه التعليمي، فإن المغرب يعتبر من بين الوجهات المفضلة للمقاولات الأوروبية والأمريكية.

وهذه الحقيقة مشجعة جدا، خاصة عبر تفعيل مجموعة من البرامج مخصصة لتنمية المهن المرحلة (offshoring). وهي فرصة لا ينبغي أن تضيع.

جهة الشرق، خزان شاب للموارد البشرية المؤهلة

يمكن لجهة الشرق أن تلعب دورا رئيسيا لتنمية هذا النشاط بالمغرب. فبفضل موقعها الجغرافي القريب من أوروبا شمالا وإفريقيا جنوبا، بوسع جهة الشرق أن تصبح الميناء الرئيسي للمركز الطبيعي الذي يمثله المغرب بالنسبة لإفريقيا. فقد سرَّعت الأزمة الصحية الحالية المرتبطة بكوفيد-19، بتعميم استعمال التكنولوجيات الجديدة، وخاصة بالإدارة والتربية والتكوين، وللعمل عن بعد ولدعم تجارة القرب.

إنها فرصة ينبغي اقتناصها لأن جهة الشرق بمقدورها تنشيط اقتصادها بالاستفادة من هذه الفرصة لتوجيه الإستراتيجية الاقتصادية نحو «الرقمي». ولهذه الغاية، فإن الجهة تتوفر على خزان من الساكنة الشابة، كما أنه غني بالموارد البشرية ذات الكفاءة، لكنها تحتاج إلى تكوينات، مستمرة وأساسية، متخصصة في الرقمي من أجل ولوج سوق الشغل.

ما هي إذا الاقتراحات لتنمية اقتصاد جهة الشرق حول الرقمي ؟

تعتبر الموارد البشرية دون شك العنصر الأساسي في تنمية الاقتصاد الرقمي. وبالفعل، ينبني الرقمي على كفاءة ودراية المختصين والمختصات في الإعلاميات. وفي الواقع، من الضروري وضع إستراتيجية من ثلاث مستويات.

إستراتيجية للأمد القصير، لتكوين قاعدة هامة للمواهب في الميدان الرقمي. وإحداث مؤسسات ومراكز للتكوين ضروري لبلوغ هذا الهدف. وبوسع مجلس جهة الشرق أن يلعب دورا أساسيا لتشجيع إقامة مؤسسات للتكوين في المجال الرقمي، عبر تقديم مساعدة مالية للطلبة لتغطية تكاليف الدراسة مثلا. كما يمكنه أيضا أن يشجع على وضع تكوينات بالتناوب بالمقاولات، مع تشجيعها على توظيف المواهب الشابة بواسطة إعانات مناسبة، وفق كناش تحملات ذي وقع على التشغيل. وكل هذه التدابير ضرورية لخلق مدارس ذات جودة للتكوين في الرقمي من أجل تأمين قاعدة من الموارد البشرية ذات الكفاءة العالية.

إستراتيجية للأمد المتوسط، بعد مرحلة التكوين، تفرض إعداد سوق العمل لامتصاص المواهب الجديدة. ويمكن أن يتم ذلك عبر خلق منظومة حول الرقمي ووضع عناقيد جديدة لتشجيع إقامة مقاولات مبدعة.

إستراتيجية للأمد البعيد، تتمثل في إحداث علامة «صنع بشرق المغرب» لتشجيع المنتجات والأنظمة المبتكرة والمنجزة بجهة الشرق لفائدة الصفقات العمومية بالجهة. وهذا سيشجع المقاولات على الاستقرار بجهة الشرق للاستجابة لبعض الصفقات وتوظيف شباب الجهة.

ومع مختلف هذه التدابير، سيكون لتنمية اقتصاد جهة الشرق حول الرقمي كل حظوظ النجاح ليصبح دعامة أساسية لخلق فرص شغل مباشرة وغير مباشرة بالجهة. أولا بواسطة التكوين، ثم بإحداث فرص للأعمال.

ما بعد كوفيد : على جهة الشرق أن تبني نفسها حول إستراتيجية جديدة

سفيان بوشاقور
رئيس مرصد التنمية المحلية والجهوية لجهة الشرق

الكاتب يحمل دكتوراه في الاقتصاد الجهوي والتنمية الترابية، وهو رئيس مرصد التنمية المحلية والجهوية لجهة الشرق، إلى جانب مسؤوليات أخرى داخل الجهة. للكاتب مؤلفات حول التنمية الجهوية. وهو هنا، في خضم هذا الوباء، يرافع من أجل إستراتيجية جديدة للتنمية الجهوية تتجاوز الإنعاش الاقتصادي البسيط.

كانت غاية العديد من البرامج القطاعية تعزيز الجاذبية الاقتصادية لجهة الشرق عبر بنيات تحتية تستجيب للمقاييس العالمية وكذا مخططات إستراتيجية كبيرة :

- مخطط انبثاق، عبر القطب التكنولوجي (وجدة)، والقطب الفلاحي (بركان) والحظيرة الصناعية لسلوان ؛
- المخطط الأزرق، بمحطتي السعيدية ومارشيكا ؛
- إستراتيجية الطاقة 2030، بالمحطة الحرارية الشمسية لعين بني مطهر ؛
- مخطط رواج وافتتاح العديد من المتاجر الكبرى في العديد من المدن ؛
- الإستراتيجية المينائية 2030 وإنجاز ميناء الناظور غرب المتوسط، الخ.

وتستند هذه المشاريع على بنيات أساسية (مينائية، مطارية، صحية وتكوينية)، أنجزت من أجل تحسين التنافسية القطاعية. وبعد 17 سنة من تفعيل إستراتيجية التنمية الجهوية التي أعطى انطلاقتها صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله في خطابه الملكي لـ 18 مارس 2003 بوجدة، تم ضخ أزيد من 110 مليار درهم من الاستثمارات بالجهة :

- 60 مليار درهم بالنسبة للبنيات التحتية (الطرق، النقل، الماء والتطهير، الكهربة، السكن والتأهيل...) ؛
- 30 مليار درهم بالنسبة للقطاعات المنتجة (الفلاحة، الصناعة، الصناعة التقليدية والسياحة...) ؛
- أكثر من 10 مليار درهم بالنسبة للقطاعات الاجتماعية (التربية، الصحة، التكوين المهني، الثقافة والرياضة...).

إستراتيجية حقيقية للانتعاش حول الطابع الجهوي

غير أن النتائج ليست مرضية ومؤشرات اليقظة الترابية التالية تشهد بأن الاستثمارات الخاصة والعمومية لم ترافق الدينامية التي شرع فيها :

- لا تساهم الجهة إلا بنسبة 4,8% من الناتج الداخلي الوطني[1] ؛
- يبلغ معدل البطالة 17,9%، أي قرابة ضعف المعدل الوطني (9,9%) ويتجاوز 23,4% بعمالة وجدة أنجاد ؛
- لا يتجاوز الاستثمار العمومي 3,4% وهو من أضعف المعدلات بالمغرب بعد الجهات الثلاثة للصحراء ودرعة تافيلالت ؛
- معدل التمدن الذي يصل إلى 65,4%، مما يظهر الجاذبية الكبيرة للمجال الحضري الجهوي بالنسبة للساكنة القروية ؛
- تتركز 70% من الساكنة الجهوية في المجالات الترابية الأربعة للفضاء الحضري للشمال (وجدة، بركان، الناظور وتاوريرت) متسببة في ضغط على المدن وانخفاض سكان المناطق الجنوبية للجهة.

من جانب آخر، وبعد غلق الحدود، تتواصل الأزمة الاقتصادية والاجتماعية، بوضوح، كما تشهد على ذلك تظاهرات سكان بعض المناطق. وتعتبر جرادة نموذجا يبرز أن التنمية الجهوية لجهة الشرق لم تكن تتوفر على الصمود، لأسباب عدة :

- عدم قدرة الجهة على تجاوز غلق الحدود وغياب بدائل لتجاوز تداعياتها ؛

- المطالبات من أجل بديل اقتصادي بجرادة ومخلفات وباء كوفيد-19 على الصعيدين الاقتصادي والاجتماعي تظهر بأن الجهة لم تكن بمنأى عن الأزمات ؛
- تقبع جهة الشرق منذ عقد تقريبا في المرتبة الثامنة من حيث مساهمتها في القيمة المضافة الوطنية، مما لا يسمح بامتصاص البطالة ؛
- عدم قدرة الجهة على تجاوز إغلاق الحدود وغياب بدائل لتجاوز آثاره ؛
- المشاريع الكبرى تتموقع بشمال الجهة.

التنمية الصامدة لجهة الشرق، إنجاز جماعي

تحتاج الجهة إلى نموذج جديد للتنمية الترابية قادر على الصمود وعلى التكيف مع مختلف التغيرات (الصحية، الطبيعية، الاقتصادية والاجتماعية) وتمكين مناطق الجهة من بلوغ حالة التوازن. وهي حاجة تم التعبير عنها مع طلب الإنصاف، وخاصة مع وباء كوفيد-19 الذي فاقم آثار الأزمة الاقتصادية والاجتماعية لمناطق الجهة.

وعلى الصعيد الاقتصادي، تتوفر الجهة على مؤهلات وامتيازات مقارنة لانطلاقتها الاقتصادية، لكنها ليست جذابة وبالخصوص ليست منافسة، مما يبرر المساهمة الضعيفة للاستثمارات الخاصة في خلق القيمة المضافة الجهوية. لذا، فعلى الدولة أن تتدخل باستثمارات عمومية كرافعات للنمو. ورغم ذلك، فإن الاستثمار العمومي المخصص لجهة الشرق، أي 7,8 مليون درهم سنة 2019، يمثل 8% من المبلغ الوطني : فهو بالتالي غير كافي لتلبية الحاجيات المتزايدة للجهة.

تعتبر جهة الشرق جهة مستهلكة أكثر منها منتجة، لأن مصاريف الاستهلاك للأسر يبلغ 464 17 درهم/سنة، في حين أن المتوسط الوطني هو 974 16 درهم، علما بأن الناتج الداخلي الخام للفرد هو أقل من المعدل الوطني.

تحتاج جهة الشرق إلى نموذج اقتصادي لمواكبة التوصيات التي ستصدر عن أشغال اللجنة الخاصة حول النموذج التنموي. فخلق الثروة والاستثمار المنتج هما الرهانين الأساسيين لكي تضمن جهة الشرق نموها الاقتصادي الذاتي، والمستقل لعوامل الصمود (السياسية، البيئية والاجتماعية...).

ويرتهن النموذج الاقتصادي الواجب بناؤه بالجهة بتثمين الامتيازات المقارنة لكل مجال ترابي (الجدول المقابل)، من أجل بث دينامية اقتصادية وصمود في التنمية الترابية.

مخطط للإنعاش وفرص ينبغي اغتنامها

ستكون التنمية الصامدة لجهة الشرق بناء مشتركا لكل الفاعلين، مع مجلس الجهة كمنشط (القانون 111-14)، وفق هندسة ترابية مبدعة، عليها أن تثمن مؤهلات الجهة باعتبار الإكراهات الترابية وأيضا الدروس المستخلصة من وباء كوفيد-19. وقد أكد كوفيد-19العديد من الفرص، التي على فاعلي القطاع أن يوجهها نحو إستراتيجية جديدة

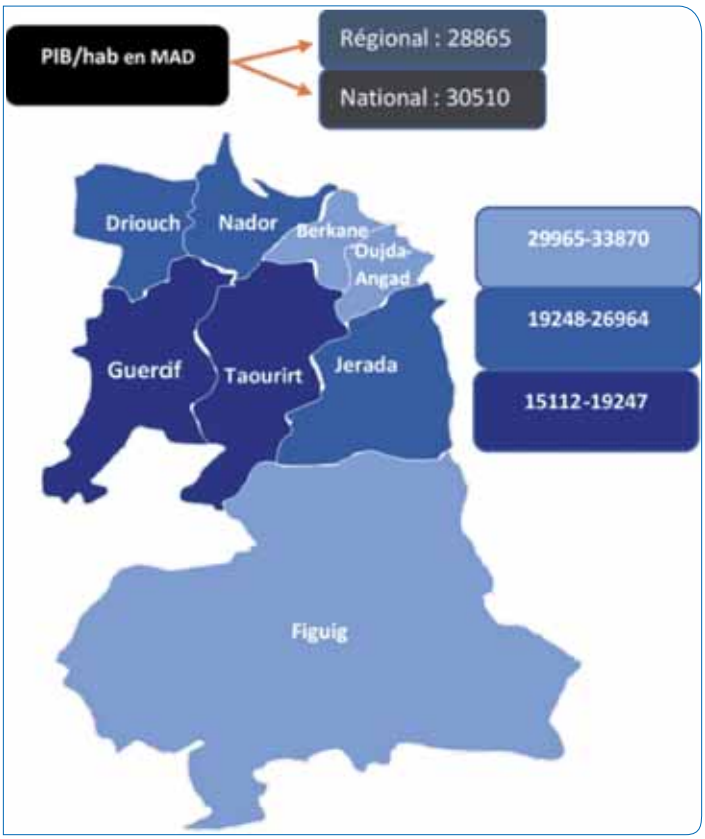

للتنمية الجهوية (الاقتصاد الرقمي والمهن المرحلة، على سبيل المثال) وبالخصوص فرص مالية، أتى بها صاحب الجلالة نصره الله في خطابه الأخير بمناسبة عيد العرش بتاريخ 29 يوليوز 2020.

والحكومة المغربية مدعوة لمنح تمييز إيجابي لجهة الشرق بالنظر للمؤشرات الماكرواقتصادية التي ينبغي تحسينها والبطالة التي ينبغي مواجهتها، وذلك بتوجيه مبادرات الاستثمار التي ينبغي أن تتم في إطار الشراكة بين القطاعين الخاص والعمومي التي ستستفيد من تمويل صندوق الاستثمار الاستراتيجي للجهات في وضعية صعبة. غير أن فاعلي الجهة مدعوون إلى إعداد عقدتهم بين الجهة والدولة والتي لن تحمل فقط مشاريع مخطط التنمية الجهوية - التي أصبحت متجاوزة مع وباء كوفيد-19- ولكن ستقترح عمليات متجددة تمكن من إعادة موقعة جهة الشرق في رقعة الجهات الواعدة.

ستتوفر جهة الشرق على ميناء مهيكل في انتظار إعلان المشاريع

انطلاقا من المؤشرات، نرى بأن جهة الشرق هي جهة مستهلكة أكثر مما هي منتجة، مع نسبة منخفضة للمساهمة في الناتج الداخلي الخام الوطني ومعدل بطالة مرتفع (أكثر من 24% حسب نشرة الأخبار الأخيرة حول التشغيل الصادرة في يوليوز 2020). إلا أن الجهة تتوفر على بنيات ملائمة لإقلاعها الاقتصادي وفرصا مستقبلية بميناء الناظور غرب المتوسط.

يبدو بالتالي من الحصيف والضروري اختيار إستراتيجية للإنعاش مع هدف واضح يتمثل في تحديد طابع للجهة. فالرد على تحديات ورهانات تنمية جهة الشرق يكمن في تثمين الامتيازات المقارنة في كل القطاعات، وخاصة تلك التي لها قيمة مضافة مرتفعة وذات طاقة تشغيلية قوية. وتتوفر جهة الشرق على ميناء مهيكل، ولكن يجب بلورة هذه الفرصة على شكل مشاريع وتعزيز جاذبية المجالات الترابية الجهوية للاستفادة منها.

ويبقى لزاما تعبئة مساحات أرضية لفائدة الاستثمار بأثمان جذابة. وهناك مجهود ينبغي القيام به لإنجاز المناطق الصناعية وفق المقاييس المطلوبة، حسب التخصصات والطابع الاقتصادي الترابي. والقطب التكنولوجي لوجدة والحظيرة الصناعية لسلوان هي اليوم ممتلئة عن آخرها تبعا لتدابير المواكبة والتحفيز للمجلس الجهوي لجهة الشرق وللدينامية المنتظرة لتفعيل ميناء الناظور غرب المتوسط.

قوة جهة الشرق نابعة من تنوع مؤهلاتها الترابية

إن قوة جهة الشرق ينبع من تنوع مؤهلاتها الترابية الملائمة للمنظومات الإنتاجية المقامة محليا (نوع من التخصص)، مما يتطلب، في إطار مخطط الإنعاش الاقتصادي، تعزيز الطابع الجهوي وتنمية كل مجال ترابي، وكل عمالة وكل إقليم، وفق ميزاتها.

على الدولة أن تصاحب هذه الجهة بواسطة تدابير نوعية في إطار «الجهوية المتقدمة». وفي عصر الجهوية واللاتمركز الإداري، فإن جهة الشرق ينبغي أن تتوفر على قانون استثمارات خاص بها ومعالجة ملائمة في المجال الضريبي، وخاصة أن الفوارق الترابية الاجتماعية تتعمق. وجاذبية جهة الشرق رهين بالإنصاف الجبائي وليس بالمساواة الجبائية، لأن التراب الوطني ليس متجانسا.

ولمواجهة الجاذبية الضعيفة للاستثمار الخاص، فإن البحث عن قاطرة كبيرة – وخاصة دولية على غرار المهن الدولية للمغرب – ينبغي تصورها في إطار برنامج الإنعاش الاقتصادي الجهوي.

تتوفر الحكومة المغربية اليوم على وسائل، وخاصة صندوق الاستثمار الاستراتيجي، تمكن من توجيه الاستثمارات نحو الجهات المفتقرة لذلك والمؤشرات الماكرواقتصادية واليقظة الترابية ترافع من أجل جهة الشرق. والوسائل لا تكون أبدا منعدمة إذا توفرت الجهة على رؤية، وطموح يمكن الدفاع عنه، وموارد بشرية مؤهلة للتخطيط، والبرمجة، والترافع، والبحث عن تمويلات وتنفيذ العمليات. إلا أنه ينبغي قبل كل شيء تحديد التوجهات الإستراتيجية للجهة في إطار مخطط الإنعاش الاقتصادي.

يمنح وباء كوفيد-19فرصة جديدة للفاعلين بالجهة، جميعهم، دون تمييز ودون أحكام سياسية مسبقة، للبناء المشترك لرؤية استشرافية للتنمية للاستجابة لحاجيات السكان بمختلف المناطق مع المتطلبات الجديدة التي أنتجها الوباء : بنيات صحية موزعة بشكل منصف ومزودة بموارد بشرية، اقتصاد شامل وصامد، تعليم عصري وموجه نحو البحث، هوة رقمية مقلصة ولجوء منصف للتكنولوجيات الجديدة للإعلام ولخدمات الانترنيت ذات الصبيب المرتفع.

كما أن فاعلي الجهة مدعوون أيضا للترويج لتراب جهة الشرق ليس فقط بواسطة المطويات والعروض بواسطة التطبيقات العالية الجودة، ولكن بعروض ذات مصداقية لبقع أرضية مهيأة ومجهزة، ويد عاملة مؤهلة ومكونة في العالية وليس عند الطلب، وقانون استثمارات ملائم وجذاب، وكذا الإعفاءات – بل التحفيزات – الجبائية. ويتلخص الأمر في تقديم رؤى جديدة للمستثمرين المغاربة والأجانب لرؤية جهة الشرق بشكل آخر. ويستحق المجهود إشراك الجالية المقيمة بالخارج، ليس فقط في مجال التسويق الترابي، ولكن أيضا في البناء الجماعي لجهة أخرى ذات المؤهلات القوية.

1- حسب الحسابات الجهوية للمندوبية السامية للتخطيط

التربية بجهة الشرق في ظل الجائحة : أقسام افتراضية ومنصات للخدمات

محمد ديب
مدير الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين لجهة الشرق

يعرض مدير الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين هنا شهادته بعد أسابيع طويلة زعزعت الآليات التربوية للجهة على غرار مجموع المملكة بالطبع وكل أنشطة البلاد. وفي ظل الوضعية الحالية، فإن الحصيلة التي يمكن وضعها تبرز إلى أي حد مكنت المبادرات التي اتخذها المسؤولون والموظفون بأصنافهم، والتي تضافرت مع رغبة وشجاعة التلاميذ، من المحافظة على كل ما هو أساسي، ومنه شهادة الباكالوريا التي تألقت فيها مرة أخرى جهة الشرق.

مثلت السنة الدراسية 2020/2019، التي وضعت تحت شعار «من أجل مدرسة مواطنة، منصفة ودامجة»، سنة كل التحديات، وخاصة بسبب كوفيد-19 الذي قلب رأسا على عقب سير الدراسة. وبما أن المنظومات التربوية، كما مصممها ومفعلوها، تقاس بقدرتها على التفاعل، فإن المدرسة بإمكانها أن تفخر لأنها استطاعت الحد من خطورة الوضعية وعرفت كيف تتصرف إزاءها.

منذ تعليق الدروس بالمؤسسات التعليمية يوم 16 مارس 2020 وإعلان حالة الطوارئ الصحية في مواجهة وباء كوفيد-19 في 20 مارس 2020، اتخذت الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين لجهة الشرق، إجراءات هامة من أجل تأمين الاستمرارية البيداغوجية لمختلف البرامج.

كما أنها سخرت كل جهودها من أجل استمرارية كل الخدمات الإدارية من أجل :

- الإنجاز الجيد لمختلف المراحل التي تصاحب السنة الدراسية الجارية (2019-2020) ؛
- إعداد الدخول المدرسي (2021/2020) على قواعد جيدة وفي أحسن الظروف الممكنة، خاصة بإرساء جهاز يتكون من لجن جهوية وإقليمية لليقظة بتنسيق مع وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني، والتعليم العالي والبحث العلمي والسلطات المحلية.

الاستمرارية البيداغوجية عبر التعليم عن بعد

لقد التزمت أكاديمية جهة الشرق بتنفيذ توجيهات الوزارة الوصية لتأمين الاستمرارية البيداغوجية عبر التعليم عن بعد.

وقد تمثل هدف الجهاز في تأمين الولوج العادل لخدمة التربية، دون تمييز أو محاباة. ولبلوغ ذلك، وبفضل انخراط الأطر التربوية باستعمال كل الوسائل الرقمية القابلة للاستغلال (تلميذ تيس، موقع على الشبكة، وصفحات في شبكات التواصل الاجتماعية، وكذا صفحات فيسبوك للمديريات الإقليمية والمؤسسات المدرسية...)، استطاعت الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين لجهة الشرق أن تنتج إلى حدود 30 ماي 2020 :

- 160 درسا تلفزيونيا ؛
- 460 موردا رقميا ؛
- تنظيم 579 48 صفا افتراضيا عبر منصة تيمس (TEAMS) من قبل 622 2 مدرس، ولَّد مشاركة 238 8 تلميذا ؛
- تنظيم أنشطة للإخبار والمساعدة في التوجيه ؛
- تفعيل وتنفيذ التوجيه الرقمي عبر النظام المدرسي مسار ؛
- اقتناء وتوزيع كتب مدرسية مخصصة للدعم البيداغوجي لفائدة 000 21 تلميذ في الوسط القروي.

مكنت هذه التدابير من تأمين الاستمرارية البيداغوجية لأكثر من 70% من التلاميذ، الذين استطاعوا متابعة دروسهم إما بواسطة التلفزيون، وإما عبر شبكة الانترنيت، وذلك رغم الإكراهات المرتبطة بالتغطية بشبكة الانترنيت والإكراهات الناتجة عن التغطية الناقصة لمجالات قروية بواسطة الشبكة الكهربائية.

الامتحانات الإشهادية، بفضل تعبئة استثنائية

من أجل تأمين مرور عادي للامتحانات الإشهادية مع احترام البروتوكولات الصحية للتباعد والتدابير الاحترازية التي بلغتها لنا السلطات المختصة، فإن الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين لجهة الشرق عبأت وسائل هامة مادية وبشرية بتنسيق مع السلطات المحلية. كما وضعت الأكاديمية بدورها سلسلة من التدابير الصحية والاحترازية.

اتخذت هذه الإجراءات لتأمين السير الجيد لامتحانات الباكالوريا. وقد كانت الاستعدادات لهذا الاستحقاق موضوع اجتماعات تنسيقية مع مختلف الشركاء والسلطات الترابية. وقد تميزت الامتحانات الإشهادية بجهة الشرق بمشاركة 997 25 مرشحا، منهم 12% في الوسط القروي و200 17 مرشحا ممدرسا. ومن جانب آخر، تم إعداد 158 مركزا لاجتياز الامتحانات، ومن بينها :

- 11 مدرجا تابعا لجامعة محمد الأول لوجدة ؛

جهة الشرق تحصل مرة أخرى على أحسن النتائج في الباكالوريا

سواء كان هناك وباء أم لا، فإن جهة الشرق تحقق أحسن النتائج في الباكالوريا، مما يدل على جدية تلاميذها، المدعوين إلى دعم الموارد البشرية في كل المجالات. وقد سجلت الجهة للسنة الخامسة على التوالي، أعلى نسبة نجاح في الباكالوريا على الصعيد الوطني في ختام دورتي السنة المدرسية 2019-2020.

هذا النجاح يبرز أيضا التسيير المثالي للأطر البيداغوجية والإدارية، بتوجيهات من المدير الشاب للأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين لجهة الشرق، محمد ديب ومختلف المندوبين الإقليميين لوزارة التربية الوطنية.

وقد حصل 957 18 تلميذا على الباكالوريا في دورتيها. وهذا يمثل نسبة نجاح تصل إلى 88,51% بزيادة 3,27% بالمقارنة مع السنة الدراسية 2018-2019.

ضمن هذا العدد، حصل 938 7 تلميذ (قرابة 42%) على شهادة الباكالوريا بميزة : 889 بميزة «حسن جدا»، و932 1 بميزة «حسن» و117 5 بميزة «مستحسن».

وقد هنأ محمد ديب مجموع المتدخلين وشركاء الأكاديمية بالنتائج المحصلة، منوها بالجهود المبذولة من أجل تأمين السير الجيد للامتحانات.

- 4 قاعات مغطاة تابعة لوزارة الثقافة، والشباب والرياضة ؛
- 18 مركزا للتصحيح.

كما تم فتح بعض الداخليات لاستقبال التلاميذ الذين يقطنون بعيدا عن مراكز الامتحان والذين قد يجدون صعوبات في التنقل، وخاصة في هذه الفترة.

وفي مجال الموارد البشرية المعبأة، سهر 9 099 إطار إداري وتربوي على السير الجيد للامتحانات في فترة وباء تتطلب حذرا كبيرا واحتراما دقيقا للبروتوكول الصحي الذي أوصت به السلطات الترابية والصحية.

وهكذا تم إنجاز فحوصات طبية وكشوفات كوفيد-19 لفائدة أعضاء الفريق التقني المكلف بطبع مواضيع الامتحانات. وكذلك الأمر بالنسبة لفرق حراسة الامتحانات، التصحيح، وإدخال النتائج وتجميع النقط، وباقي فرق القيادة والدعم على الصعيد الجهوي، الإقليمي والمحلي. وتضاف إلى ذلك حملات منتظمة لتطهير كل المؤسسات التي تم انتقاؤها لإجراء الامتحانات مع احترام قواعد التباعد وتوفير كميات كافية من المواد المنظفة ووسائل الوقاية بالنسبة للمترشحين ومختلف المتدخلين طوال فترات هذا الاستحقاق الحاسم.

بالموازاة مع هذا العمل الأساسي للمحافظة على صيت جهة الشرق وصورتها المضيئة على صعيد النتائج في الامتحانات (احتلت الجهة المرتبة الأولى في امتحانات الباكالوريا خلال السنوات الخمس الأخيرة)، كان يتوجب تأمين تتبع بيداغوجي أفضل بالتعاون مع جمعيات أباء التلاميذ ومدرسي المواد الملقنة في السنة الثانية بكالوريا.

الاستعدادات بالنسبة للدخول المدرسي المقبل 2021/2020

لم يمنع الوباء الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين من إعطاء الانطلاقة مبكرا للإعداد للدخول المدرسي المقبل.

مدير الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين لجهة الشرق يقدم مخطط عمل وإنجازات جهة الشرق للسيد وزير التربية الوطنية

حقا، لن يشبه هذا الدخول سابقيه، لكنه سيتطلب نفس المجهود إن لم يكن أكثر. فمستقبل التلاميذ ونجاح المخططات الجديدة للتقويم تعتمد على ذلك. ولإنجاح هذه المهمة، بذلت الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين لجهة الشرق جهودا كبيرة لوضع جهاز قابل للتكيف مع مختلف السيناريوهات الممكنة.

وقد ربطت لهذه الغاية الاتصال مع كل المتدخلين المكلفين بتكييف العرض المدرسي بالجهة، والذي نتجت عنه العديد من التدخلات، من بينها :

- أعمال البناء (إحداث، وتوسعة، واستبدال البنايات المركبة...) ؛
- أشغال تهيئة فضاءات الاستقبال والإيواء ؛
- عمليات اقتناء التجهيزات.

كما أن إعطاء الانطلاقة للتسجيلات الجديدة تندرج في نفس الروح، مع إزالة مادية المسطرة وتمكين الآباء من التسجيل المسبق لأبنائهم عبر منصة إلكترونية، دون الحاجة إلى التنقل إلى المدرسة لتقديم ملف التسجيل.

نفس الشيء بالنسبة لمسطرة طلب المنحة الجامعية عبر منصة منحتي، التي توفر للحاصلين المستقبليين للباكالوريا إمكانية وضع طلبات المنحة بواسطة الانترنيت.

تتطلب هذه المسطرة الجديدة إنتاج أفلام قصيرة للتوجيه مخصصة للتلاميذ في مختلف المستويات الدراسية، والتي تعالج مختلف المواضيع من أجل إطلاع الشباب بمختلف التخصصات والمهن المعروضة عليهم، مع اقتراح تقنيات لكي يقوموا بالاختيار الصحيح في مسارهم الدراسي والجامعي.

أرقام مدهشة بجهة الشرق

من جانب آخر، ستكون سنة 2020/2019 السنة التي عرفت تعميم المسار الدولي في المرحلة الثانوية الإعدادية، لفائدة 36 000 تلميذ من 158 ثانوية إعدادية وأكثر من 13 000 تلميذ بـ 96 ثانوية تأهيلية عبر الجهة. وستبقى هذه الحصيلة مرموقة، لأنه من المعقد جدا تسيير أكثر من 459 000 تلميذا من مختلف المؤسسات التعليمية، منهم 196 42 مسجلين في مؤسسات التعليم الخاص، و620 138 تلميذا تابعا للمؤسسات التعليمية في العالم القروي.

وقد بلغ عدد المدرسين 18 500 مدرسا وعدد الفصول 15 174، وهو ارتفاع هام بالمقارنة مع السنة السابقة.

حديث استقاه علي خروبي

جامعة محمد الأول لوجدة : مهد للبحث والابتكار

ياسين زغلول
رئيس جامعة محمد الأول لوجدة

الكاتب أستاذ وباحث في ميدان تكثر فيه المشاريع والبرامج في إطار التعاون الدولي، والتي انخرط فيها بنفسه. بعد تعيينه، ومع البوادر الأولى للوباء، في فبراير 2020، نفهم بأن انشغاله الأول كرئيس جديد للجامعة كان هو أن لا يعزل مؤسسته عن العالم، ولا عن الجهة، ولا عن روابطها بالخارج. إنها مهمة صعبة ولكنها تمثل أيضا فرصة لانفتاح الجامعة على المحيط البشري والاقتصادي.

في سياق وطني ودولي تحت تهديد كبير جراء جائحة كوفيد-19، سعت جامعة محمد الأول بكل قواها للحفاظ على نشاط أمثل من أجل ضمان استمرارية بيداغوجية، ونشاط بحث وخدمة مقدمة للمجتمع.

وقد كانت كل هذه الأنشطة ثمرة عمل تعاوني انخرطت فيه كل الإرادات الخيرة لجامعة محمد الأول. وقد أظهر المدرسون، الإداريون، وطلاب الدكتوراه، روحا قوية من الالتزام ونكران الذات لا مثيل لهما لتأمين استمرارية الدروس والمساهمة في الجهود المبذولة للتحكم في انتشار فيروس كورونا. وقد تجندت مختلف مكونات الجامعة على عدة جبهات متحدية بالتالي أخطار العدوى، متسلحة بمعرفتها، وبالتزامها المهني الوطني.

تحسين التواصل البيداغوجي، مع رقمنة وتوضيب المحتويات

انطلاقا من رؤية إستراتيجية تتعلق بالرقمي تتميز بانخراط المدرسين، تم إنتاج العديد من الموارد في زمن قياسي.

وقد كان الهدف هو أن يحصل الطلبة على عناصر نموذج جديد لم يكن ليوجد دون هذه التعبئة حول جامعة محمد الأول ومسيريها في إطار منطق تقاسم الممارسات البيداغوجية الجيدة لفائدة الطلبة.

هذا المسار الذي دشن على وجه الاستعجال، بدأ في 17 مارس 2020 مع تركيز على المؤسسات ذات الولوج المفتوح.

وقد صاحب مكونات هذه الآلية بث عدد من شرائط ڤيديو لدروس مسجلة بفضل المدرسين على شبكة الانترنيت وتوزيعها عبر القنوات التلفزية الوطنية وعلى أمواج الإذاعات الجهوية.

وقد وضعت خلايا للمتابعة في كل مؤسسة تحت شعار : جعل الموارد المنتجة في متناول الجميع.

في إطار هذه التعبئة القوية، لعب طلاب الدكتوراه أيضا دورا في وضع محتويات رقمية على الشبكة. وقد شملت هذه التدخلات :

- خلق أصناف من الدروس ؛
- إحداث فضاءات للدروس ؛
- المساعدة على توضيب السيناريوهات البيداغوجية ؛
- المساعدة على الولوج للدروس ؛
- الضبط التقني للدروس.

وبفضل كل هذه العمليات، كان عدد الطلبة الذين راجعوا المحتويات مهما جدا ومشجعا من أجل التفكير في وضع «جامعة رقمية» بأكملها لهذه الغاية.

وقد تم فتح ورش جديد : ورش تحسين التواصل البيداغوجي، رقمنة وتوضيب المحتويات في احترام للمقاييس المعترف بها.

تشبيك لفائدة الباحثين المغاربة وغير المغاربة في إطار توجه متعدد التخصصات

شجعت جامعة محمد الأول مشاركة الطاقم التدريسي في كل طلبات المشاريع الوطنية والدولية حول كوفيد-19. وقد أفرزت هذه التعبئة القوية انتقاء ستة مشاريع بتمويل يبلغ مليون درهم. وقد أنجزت هذه المشاريع في إطار القطب الجامعي الجهوي الذي يضم جامعة محمد الأول، جامعة مولاي إسماعيل بمكناس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس، الجامعة الخاصة لفاس، الجامعة الأورومتوسطية وجامعة الأخوين.

شمل هذا الدعم المقدم للبحث العديد من المواضيع التي لها علاقة كوفيد-19 : الطب، العلوم والتقنيات، التكنولوجيا، الاقتصاد، السوسيولوجيا والعلوم الإنسانية. ومن أجل تمويل هذا البرنامج، رصدت الوزارة الوصية - عن طريق المركز الوطني للبحث العلمي والتقني - غلافا ماليا يبلغ 10 مليون درهم.

تتمثل الفكرة في نشر فرق تجتمع على مشاريع مبدعة على المدى القصير والمتوسط من أجل اقتراح حلول للأزمة الوبائية كوفيد-19 ومواجهة أوبئة أخرى محتملة. ويهدف هذا البرنامج أيضا إلى وضع شبكات لباحثي جامعتنا مع زملائهم المغاربة والأوروبيين في إطار متعدد التخصصات قادر على اقتراح حلول أو إجابات عن هذه الوضعية.

هذا، وإن المشاريع التي تم الاحتفاظ بها بجامعة محمد الأول لها غاية سريرية وتشخيصية، ذات القيمة المضافة على المستوى التكنولوجي العالي، وكذا مشاريع لها علاقة مع النموذجية لفهم تطور وباء كوفيد-19.

وسوف تساهم كل هذه المشاريع في التفكير الجاري إرساؤه حاليا على الأصعدة المحلية، الوطنية والدولية، لأن بعضا من هذه المشاريع تتم في إطار شراكات خارجية.

التحديات الجديدة لجامعة محمد الأول : الكلمة للرئيس

بقلم البروفيسور ياسين زغلول
رئيس جامعة محمد الأول لوجدة

البروفيسور ياسين زغلول حاصل على دكتوراه من المدرسة الوطنية للمهندسين بصفاقس (تونس) ودكتوراه دولة من كلية العلوم لوجدة. قد بدأ مسيرته المهنية بجامعة محمد الأول لوجدة كأستاذ باحث بكلية العلوم قبل أن يعين مديرا للمدرسة العليا للتكنولوجيا، ثم رئيسا لجامعة محمد الأول في يناير 2020. وقد حاز على جوائز عديدة على أعماله في مجال البحث، خاصة في ميدان الجيولوجيا.

«على الجامعة أن تكون مؤسسة ملتزمة داخل المجتمع، ومتجذرة في محيطها، ومطعمة بتطور اجتماعي كبير على كل الأطراف المعنية أن تنخرط فيه. ويعتبر الاستثمار في العنصر البشري عاملا حقيقيا للتحالف مع الاقتصادات المتطورة والتعليم هو السبيل الأمثل نحو التنمية والنجاح. واقتناعا منا بهذا المبدأ، فقد وضعنا الطالب في مركز كل الاهتمامات حتى نمكنه أن يجعل من مروره بالجامعة نقطة انطلاقة نحو حياة مواطنة، اجتماعية ومهنية كريمة وواعدة.

في هذا الاتجاه، يصبح من الأساسي بث دينامية جديدة في تسيير الجامعة، مع السعي لتكاثف جهود قواها الحية من أساتذة وإداريين. وعلينا جميعا أن نلتزم بجعل هذه الجامعة منارة للمعرفة، وفضاء للتعلم والتكوين لصالح الحوار والتنوع.

ومن اللازم أيضا أن نستثمر في مجال البحث الجيد، وذلك عبر إحداث أقطاب امتياز من أجل وضوح أكبر في الرؤية والمردودية. إن الجامعة التي نطمح إليها هي أيضا تلك التي تستمع لمجالها الترابي ولحاجياته. والمؤسسات الجديدة وملحقاتها التي ستقام ببركان وتاوريرت تستجيب للطلب المتزايد والمشروع لتقريب الجامعة من الطلبة وتعزيز شبكة العرض الجامعي عبر الجهة.

ولبلوغ هذه الأهداف، وقع اختيارنا على نسق تسييري تشاركي، استباقي وفعال يشجع انخراط الجميع، وتفتق الإبداع ونمو روح المبادرة والتقاسم في إطار الشفافية واحترام الهياكل.»

الابتكار والخدمة المقدمة للمجتمع

بالاعتماد على خزانها من الكفاءات العالية، تمكنت جامعة محمد الأول من إبراز إمكاناتها الإبداعية والإبتكارية. وقد أحدثت شبكة للباحثين ومجموعة من الحلول المنفتحة من أجل تقديم مساهمتها في محاربة كوفيد-19 بواسطة طبع ثلاثي الأبعاد لأقنعة بلاستيكية واقية وصمامات لآلات التنفس لفائدة المركز الجامعي الاستشفائي لوجدة. وهذه المبادرة تدل على الانخراط الكامل مع التوجيهات المحددة لمواجهة هذه الجائحة.

صنع أقنعة واقية بجامعة محمد الأول لوجدة

ويبرز تطوير مثل هذه الحلول مدى الأهمية البالغة للتوفر على تجهيز متطور ملائم قصد تصميم نماذج بمقدورها المساهمة في تنمية المقاولات الصغرى والمتوسطة والمقاولات الصغيرة جدا. فبفضل الطابعات الثلاثية الأبعاد التي جمعت بمركز للنمذجة، استطاعت الجامعة إنتاج أقنعة بلاستيكية واقية تستجيب للمقاييس الدولية وتوزيعها مجانا على الطاقم المهني الصحي ومستعملين آخرين ذوي الأسبقية.

كوفيد-19 : بين السلاسة والصرامة والمردودية

لم يمنع هذا النسق الحكامي الذي فرضته ظرفية الوباء وحالة الطوارئ من تأمين سير عادي ومردود أمثل. وقد مكنت الاجتماعات عبر وسائل التواصل الافتراضي من تقليص المسافات، كما أتاح التركيز واتخاذ القرارات.

كما أن المؤتمرات عن بعد هي أيضا ضمانة لسيولة واستمرارية العمل. وقد مكن تبني هذه التكنولوجيات من انخراط أقوى ومن تعبئة أكبر لشركاء الجامعة وهياكلها الداخلية.

الدعم الاجتماعي للطلبة المحليين والأجانب

لقد استفاد الطلبة المنتمون من أقطار جنوب الصحراء، والمغاربيين وكذا الطلبة المحليين، الذين اضطروا للمكوث في عين المكان لتجنب تفشي الوباء، من موجة التضامن السائدة. وهكذا أمنت الجامعة، بالتعاون مع جمعية تماسك، توزيع الاحتياجات الأولية بقيمة 200 000 درهم، طوال شهر رمضان الأبرك. كما مكنت هذه العملية حوالي ألف طالب من الاستفادة من مساعدة ملموسة وبعدم الشعور بالعزلة.

إن جامعة محمد الأول هي إذا فضاء للابتكار، وفضاء للاستقبال والتقاسم ومكان للبحث والتعليم، إنها الصورة التي ترسخت خلال هذه الفترة، وهي الصورة التي ستعمل على إبرازها خلال السنوات القادمة باحترام للتقليد العريق لبلد صاعد تحت القيادة الرشيدة لصاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله.

آراء استسقتها هيئة التحرير

جامعة محمد الأول لوجدة في أرقام

تضم جامعة محمد الأول ثمان مؤسسات، منها أربعة ذات ولوج مفتوح : كلية العلوم، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والكلية متعددة الاختصاصات للناظور.

كما تضم أيضا أربع مؤسسات أخرى ذات ولوج مقنن : المدرسة العليا للتكنولوجيا، المدرسة الوطنية للعلوم التطبيقية لوجدة، المدرسة الوطنية للتجارة والتسيير وكلية الطب والصيدلة.

وتستقبل الجامعة أزيد من 74 000 طالبا في موقعي وجدة والناظور. كما أنها تشغل 929 أستاذا باحثا و476 إداريا وتقنيا. فبكل هذه القوى تسعى الجامعة للمشاركة في نهضة الجهة والمملكة.

ولتأمين عرض تربوي أفضل، تتوفر الجامعة على هياكل للبحث مجهزة بمعدات من مستوى تكنولوجي رفيع وبمراكز مكلفة بتوحيد أنشطة البحث وتشجيع نقل التكنولوجيا.

في مواجهة الجائحة، صمود وإنجازات في الفلاحة

محجوب لحرش
المدير الجهوي لوزارة الفلاحة، والصيد البحري، والتنمية القروية والمياه والغابات

الكاتب خريج معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة والمعهد العالي للتجارة وإدارة المقاولات. وهو حاليا الناطق الرسمي للإستراتيجية الجديدة الجيل الأخضر 2020-2030، ويسهر على وضع عدة برامج للتنمية في مختلف جهات المملكة. كما يساهم في تنزيل مختلف الاستراتيجيات الفلاحية الجهوية، مع إعداد عروض نوعية لفائدة كل جهة، ومنها جهة الشرق.

في سياق يتميز بالأزمة الصحية المرتبطة بجائحة كوفيد-19 والتي تزامنت مع غياب التساقطات المطرية بين منتصف يناير 2019 ومارس 2020، واجهت الفلاحة بجهة الشرق صعوبات هيكلية وظرفية حقيقية تهدد القطاع والتموين العادي للأسواق الجهوية بالمنتجات الأساسية.

تعزيز شبكات الإنتاج ومواكبة دائمة

بفضل إرادة نساء ورجال قطاع الفلاحة، والجهود المبذولة من طرف الفلاحين الذين لم يستسلموا ولو لحظة، والتتبع المتواصل لوزارة الفلاحة، والصيد البحري، والتنمية القروية والمياه والغابات بالتعاون مع كل الأطراف، استطاعت الفلاحة الجهوية أن تكسب الرهان وأن تنجح في تدبير إحدى أصعب الأزمات التي هزت بلادنا وبخاصة جهة الشرق. وقد مكنت بالخصوص من تقوية صمود شبكات الإنتاج التقليدية أمام التغيرات المناخية والآثار غير المتوقعة للجائحة.

فطوال فترة الحجر، واصلت الأنشطة الفلاحية إنتاجها والاستجابة لحاجيات المستهلكين، مما مكن العديد من الأسواق من التزود بالمنتجات الغذائية الجيدة، بكميات كافية وأسعار معقولة.

تمت مباشرة تتبع يومي لتزويد أسواق الجملة والمساحات الكبيرة والمتوسطة، وهو حضور فعلي مكن من تحديد الحاجيات وتأمين تموين منتظم وعادي للأسواق بالمواد الفلاحية.
ولم يسجل أي اختلال، بل بالعكس، فقد تم تسويق العديد من المنتجات بأثمان معقولة دون مستواها المتوسط، على سبيل المثال البطاطس، والبطيخ المائي (الدلاح) والقرع المحلي.

أما بالنسبة للأمطار، فقد تميز الموسم الفلاحي 2019-2020 بارتفاع في التساقطات بنسبة 51% بالمقارنة مع الموسم السابق، ولكن مع عدم انتظام كبير في الزمان والمكان، سيما بأقاليم فجيج وجرادة.

وهكذا، سجل المركب المائي لملوية، في بداية الموسم نقصا بنسبة 47%، مما أثر سلبا على برمجة المساحات المعدة للزراعة بالدائرة السقوية.

أما الشمندر السكري، وهي سلسلة زراعية ذات أهمية اجتماعية واقتصادية رئيسية على مستوى الدائرة السقوية لملوية، فقد سجلت أرقاما جيدة رغم الجائحة والوضعية الصعبة للسدود.
وقد اُتخذت كل الإجراءات الضرورية لإنجاح موسم هذه السنة في احترام تام للتدابير الاحترازية لمواجهة كوفيد-19.

سهرت المديرية الجهوية للفلاحة على وضع مجموعة من المساطر والدلائل لتأطير قريب لكل الحقول خلال فترات التتبع والاقتلاع. وقد حصرت مساحة البذر في 3 800 هكتار، أي بانخفاض 51,4% بالمقارنة مع السنة الماضية، رغم الاهتمام الكبير للفلاحين بهذه السلسلة.

اليوم، وبفضل جهود كل المتدخلين، بلغنا إنتاجا إجماليا يصل إلى 000 228 طن، بمردودية تبلغ 60 طن للهكتار.

تجنب العناقيد الوبائية والسهر على التدابير الوقائية

تم إنجاز البرامج والزراعات الشتوية والربيعية في ظروف جيدة على صعيد الحقول ومراكز التلفيف رغم الحالة الوبائية التي فرضت تدابير جديدة لتجنب بؤر الوباء وفرض احترام التدابير الوقائية. وفي الواقع، تمت عمليات الجني، التلفيف والتوزيع بوتيرة عادية، خاصة بالنسبة للخضر.

وبشكل مواز لهذه العمليات المحلية، فإن تدخل الدولة كان هاما جدا لتخفيف آثار الجفاف. ولهذه الغاية، أعطيت الانطلاقة لبرنامجين :

- توفير الشعير المدعم لفائدة مربي الماشية، بحجم إجمالي بلغ 1,2 مليون قنطار ؛
- دعم سلسلة الحمضيات في العالية عبر توزيع الأسمدة (نترات الأمونياك 33,5%) بمعدل ثمان قنطارات للهكتار، لفائدة منتجي الفواكه الصغيرة.

وقد أُنجزت هذه العمليات في احترام تام للبرتوكول الصحي الذي حددته السلطات.

اتخذت المديرية الجهوية للفلاحة لجهة الشرق التدابير الضرورية للسير الجيد لمشاريع الفلاحة التضامنية، لفائدة الفلاحين الصغار، خلال فترة حالة الطوارئ الصحية هذه.

وقد بلغ المبلغ المرصود لهذه المشاريع 116,6 مليون درهم سنة 2020.

موسم جيد جدا بالنسبة للشمندر السكري رغم الظرفية الاستثنائية

منذ ظهور الجائحة، وضعت الوزارة الوصية مجموعة من أدوات الحكامة والتوعية من أجل توفير مساطر وإطار ملائم مع المتطلبات التي تفرضها وضعية الأزمة :

- التأطير عن قرب لمختلف المصالح الإدارية لقطاع الفلاحة على الصعيد الجهوي ؛
- التأطير عن قرب للمهنيين وعاملي القطاعات الفلاحية والصيد البحري، وخاصة بالاستغلالات الفلاحية ووحدات التقييم، والتلفيف وتحويل المنتجات ؛
- تدعيم التدابير الاحترازية داخل الوحدات التي تستعمل سلسلة التبريد ؛
- التدابير الإضافية الاحترازية المرتبطة بوضعية جائحة كوفيد بمناسبة عيد الأضحى المعلن عنها في إطار الدورية المشتركة بين وزارة الداخلية ووزارة الفلاحة ؛
- إقامة أسواق مؤقتة تحترم إجراءات التباعد على مستوى المراكز الكبرى لبيع الماشية بمناسبة عيد الأضحى.

دلائل المساطر

سهرت المديرية الجهوية للفلاحة لجهة الشرق على المستوى الجهوي على نشر والتطبيق الصارم لدوريات ومذكرات الوزارة. وقد عممتها على العاملين بالمديريات الإقليمية للفلاحة، والمكتب الجهوي للإصلاح الزراعي لملوية ومؤسسات التكوين، وكذا على المهنيين. كما تم توزيع دلائل مصورة لدى الهيئات المعنية لإرساء إطار عمل منظم يضمن السلامة والصحة للجميع.

ولمواكبة هذه العمليات، تم تكوين لجن للتوعية واليقظة :

- اللجنة الجهوية واللجن الإقليمية المكلفة بمواكبة المهنيين لتفعيل بروتوكول لمواجهة كوفيد-19 (تتكون من ممثلين للمكتب الوطني للسلامة الصحية للمواد الغذائية والمكتب الوطني للاستشارة الفلاحية ويرأسها ممثل المديرية الجهوية للفلاحة لجهة الشرق أو المديرية الإقليمية للفلاحة/المكتب الجهوي للإصلاح الزراعي لملوية)، والتي تعنى أيضا بتوزيع الدلائل في وسط الفلاحين ووحدات التقييم ؛
- لجن إقليمية مع ممثلي المكتب الوطني للسلامة الصحية للمواد الغذائية والمكتب الوطني للاستشارة الفلاحية والمديرية الإقليمية / المكتب الجهوي للإصلاح الزراعي لملوية، تسهر على تفعيل التدابير الاحترازية على مستوى مجموع الوحدات التي تستعمل سلاسل التبريد، التي تسهر على احترام شروط المرور الجيد لعيد الأضحى في سياق جائحة كوفيد-19.

أكدت النتائج المحصل عليها ميدانيا على نجاعة الآلية.

«صنع بشرق المغرب» بأسعار معقولة في مواجهة أسوء أزمة في تاريخ السياحة الجهوية

محمد الملحاوي
أستاذ جامعي واستشاري للمركز الجهوي للسياحة

الكاتب أستاذ بجامعة محمد الأول لوجدة واستشاري بالمركز الجهوي للسياحة لجهة الشرق. وهو لا يخفي تفاؤله ويروج لمنطقته رغم الأزمة التي تعصف بالقطاع. بالنسبة إليه، تشكل الجائحة والقيود التي تصاحبها بالنسبة للتنقلات، وخاصة باتجاه الخارج، مصدر فرص ملائمة لتنمية السياحة الوطنية في المجالات الترابية المغربية. إنها مناسبة لسياحة تعيد اكتشاف المغرب.

السياحة، أحد القطاعات التي تأثرت أكثر بالأزمة الناتجة عن جائحة كوفيد-19. فالنشاط السياحي متوقف أو يكاد في العالم بأسره منذ أزيد من أربعة أشهر. وإغلاق الحدود الجوية، والبرية والبحرية، وإقفال المؤسسات السياحية والحجر هي مجموعة من الحقائق المؤلمة التي أثرت سلبا على القطاع السياحي بجهة الشرق كما في غيرها. وتسجل هذه السنة بجلاء أسوأ أزمة في تاريخ السياحة المغربية. وأمام هذه الظرفية غير المسبوقة، تمثل السياحة الداخلية الملجأ الأخير الذي بوسعه أن يحد من الأضرار. وبالتالي، فلا خيار عند المغاربة سوى تفضيل الوجهات المحلية لقضاء عطلهم.

جهة الشرق، وجهة لما بعد كوفيد يتم الترويج لها عبر شبكة الانترنيت

يوجد ألف سبب لقضاء العطلة الصيفية بجهة الشرق، وهي منطقة تشتهر بطابعها السياحي وبحفاوة الاستقبال الأصيلة، بل الأسطورية. إنها من بين الجهات التي استطاعت أن تدبر الجائحة بصرامة وانضباط، مسجلة خسائر صغيرة، مما يؤهلها لكي تكون الوجهة الأفضل للسياح المغاربة الحريصين على سلامتهم. كما أن المحافظة على مناصب الشغل هي ضمن الرهانات الأساسية.

من أجل دعم الوجهة، أعطى المركز الجهوي للسياحة لجهة الشرق، إلى جانب مؤسسة تنمية السعيدية وشركائهما، الانطلاقة لحملة ترويجية للسياحة الجهوية بإنتاج أدوات للإشهار والترويج، وڤيديوهات وموقع على الشبكة http://visitoriental.ma/.

مشهد من بني يزناسن، أحد المواقع الفريدة العديدة بجهة الشرق

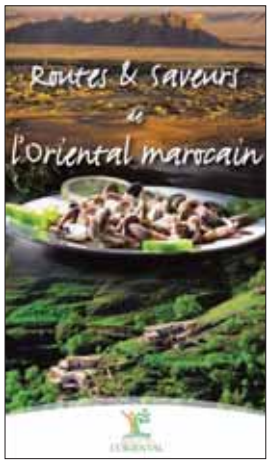

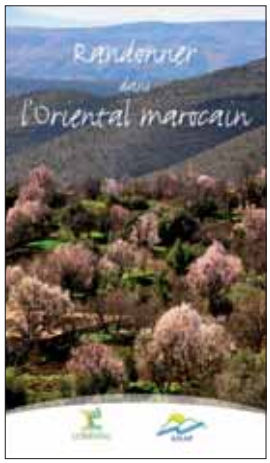

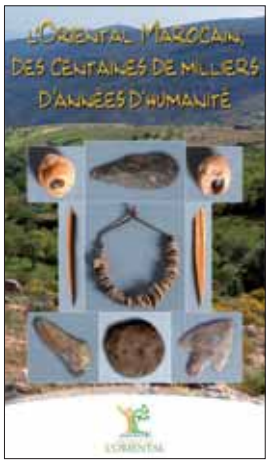

ثلاث دلائل ثمينة لإكتشاف جهة الشرق المغربية

الهدف المتوخى هو جعل مواطنينا يحلمون باكتشاف جهة الشرق وتشجيعهم على اكتشافها، وإعطائهم أفكارا وخطط جيدة تساعدهم على تخيل أسفار لا تنسى من «صنع شرق المغرب»، بأسعار معقولة. ونحن نوصي المواطنين المغاربة بإلحاح باكتشاف الشواطئ الفردوسية لجهة الشرق على امتداد 200 كلم من الساحل المتوسطي، والتي تتميز كلها بجمالها الأخاذ. حيث تستقطب سنويا آلاف المصطافين والسياح المغاربة والأجانب، على غرار محطتي السعيدية ومارشيكا، ذات المعايير العالمية وقرى الاصطياف الأصيلة والخلجان الصغيرة المنعزلة والشواطئ البرية، وتلك المهيأة بعناية، وشواطئ الحصى والصخور والرمل الناعم والذهبي والرمادي... بإيجاز شواطئ رائعة تؤمن تغييرا تاما في إطار من الهدوء والسكينة.

فمن السعيدية إلى تروكوت، مرورا بمصب ملوية، وراس الما، ومارشيكا، وراس ورك (كاب دي تروا فورش)، وسيدي حساين وبودينار، تتنافس شواطئ جهة الشرق في ما بينها لنيل سبق التميز بمشاهد استثنائية تتناسق فيها الجروف والكثبان الرملية مع الغابات والجبال. شمس مسكرة، وبحر شفاف ومشاهد جذابة ... كل واحد يجد فيها مبتغاه.

ألف سبب وسبب لقضاء العطلة بجهة الشرق المغربية

تغري الجهة بميزاتها المتعددة ! أحيانا بجوار المدن الكبيرة وأحيانا مختبئة في وسط الطبيعة، تتناثر أجمل الشواطئ على طول الساحل المتوسطي منافسةً شواطئ الكاريبي أو بولينيزيا. ونحن نندهش أمام جمال هذه الجواهر التي ترصع ساحلا رائعا حيث نحت البحر الحجر ! كما نقف مشدوهين أمام غروب الشمس الرومانسي على ضفاف البحر الأبيض المتوسط. أما المعالم التاريخية فإنها ترمز إلى تنوع الحضارات المتشابكة هنا. فالزوار يستمتعون بالمدينة العتيقة الألفية لوجدة المضرجة بعطور الحياة، وبقصور الواحات مثل فجيج وإش، وبالطبيعة على الهضاب العليا الشبه صحراوية لبني كْيل، وبالمساحات الغابوية لجرادة وموقع شكار ذي الأهمية البيولوجية والإيكولوجية، وبمنطقة بني يزناسن ومنتجاتها المحلية وتراثها من العصر الحجري القديم، وبكْوروكْو والريف الشرقي... وستساعد الدلائل التي أصدرتها وكالة جهة الشرق على اكتشاف هذه المناطق كلها.

يوصي المركز الجهوي للسياحة لجهة الشرق بزيارة الجهة، خاصة بعد النتائج النموذجية في مجال محاربة فيروس كورونا. فقد حصل الجهاز الصحي الجهوي الذي يطبق الإستراتيجية الوطنية، على نتائج جيدة، بفضل روح المواطنة العالية. فالفيروس قليل الانتشار بالجهة، ونسبة تفشيه ضعيفة للغاية.

بهذه المؤهلات المشجعة، تدعو جهة الشرق لتذوق أسماك بحره المتوسط وأطباقه الشهية ومنها تلك المعدة باللحم الأحمر لخرفان بني كْيل بالهضاب العليا، وبرتقال بركان، ومزاح زكْزل، والتين الأخضر والأسود لأحفير والسعيدية، وكذا التين الشوكي (الهندية أو الزعبول) للجبال والسهول، وحلويات المقروط والكعك لوجدة، أو تمور عزيزة لفجيج.

آراء استسقتها هيئة التحرير

الترويج لجهة الشرق من أجل تخفيف آثار فيروس كورونا

من أجل التعريف بالوجهة في هذه الأوقات العسيرة، وضع المركز الجهوي للسياحة الموقع الإلكتروني www.visitoriental.ma. وهو يضاف إلى صفحات فيسبوك، ولنكيدإن، وواتساب وانستكْرام. ويرمي هذا التسويق الرقمي إلى استقطاب أكبر قدر من الدفقات وتحويلها إلى زيارات إلى المواقع السياحية للجهة، والقيام بالحجوزات المتعلقة بالمنتوجات السياحية انطلاقا من مواقع الأداء المعدة لذلك. وبالموازاة، قام المركز الجهوي للسياحة بإعطاء الانطلاقة لعلامته الخاصة : Ntla9aw Fjihat Char9

هذه العلامة مزدانة ببطاقة سفر ووصلة ڤيديو للترويج لما بعد الحجر أنجزت بالمناسبة. أكثر من ذلك، يعمل المركز الجهوي للسياحة حاليا على تسجيل 20 وصلة للترويج للوجهة لفائدة البرنامج التلفزي «شوف بلادي».

كما أن المركز أنجز كتيبا ترويجيا جديدا يتطرق لخاصيات وعوامل الجاذبية السياحية للجهة. وهو يتضمن أهم مصادر الاستقطاب السياحي والعناوين المفيدة. ويعمل من الآن، على مستوى مارينا السعيدية، مركز جديد للمعلومات والتوجيه مخصص للسياح.

في مجال الإقامة، تقترح البنيات السياحية لمحطة السعيدية وفنادق المدينة حُزم عروضٍ مخفضة لفائدة السياح المحليين.

المجتمع المدني بجهة الشرق ومواجهة كورونا

الكبير حنو
مدير قطب التنمية المحلية
وكالة جهة الشرق

دكتور جامعة تور الفرنسية، متخصص في مجال التهيئة والتنمية، شغل الكاتب عدة مناصب بالإدارة المركزية لوزارة الداخلية ووزارة إعداد التراب الوطني، ساهم من خلالها في تطوير مشاريع مهيكلة وأنشطة القرب. يضع، منذ عقد ونصف من الزمن، خبراته رهن إشارة ساكنة جهة الشرق التي تكن له احتراما كبيرا من أجل المساهمة في تحقيق النمو المنشود.

يتميز

المجتمع المدني لجهة الشرق بالفعالية والكفاءة والتدخل على جبهات مختلفة : ثقافية، تربوية، رياضية، سوسيو-اقتصادية، النوع الاجتماعي وغيرها. وبمجرد تفشي وباء كورونا «كوفيد-19» والإعلان عن الحجر الصحي، وضعت هذه الهيئات المدنية الاختلافات فيما بينها جانبا، وتجندت بتنسيق مع السلطات المحلية من أجل محاربة الجائحة.

تعبئة الجمعيات

في هذا الصدد، بدا لوكالة جهة الشرق حتمية تحسيس شركائها للمساهمة في الحد من آثار الوباء وذلك باعتماد التناظر عن بعد، فقامت في إطار مقاربتها التشاركية والتشاورية مع النسيج الجمعوي الذي جعلت منه امتدادا ترابيا لها بمختلف مكونات الجهة، والذي يفوق 600 جمعية وتعاونية، بتقديم دعم مادي ومعنوي لبعض الجمعيات النشيطة والمختصة للقيام بحملات توعوية للتصدي لانتشار الڤيروس والالتزام بالحجر الصحي وتوزيع المواد الغذائية على الفئات المستهدفة.

ومن أجل توفير الكمامات، وفي إطار خطتها الرامية لتطوير الاقتصاد الاجتماعي والتضامني

في المدرسة، المراقبة والتوعية بالفكاهة

عن طريق الأنشطة المدرة للدخل، دعمت الوكالة بعض التعاونيات، مثل الأنامل الذهبية بوجدة، لإنتاج كمامات قابلة لإعادة الاستعمال، تستوفي المعايير المعتمدة من قبل وزارة الصحة وفق شهادة مسلمة من أحد المختبرات المعتمدة وتوزيعها على الفئات الفقيرة.

مبادرات القرب

وأمام انتشار عملية التشكيك في وجود هذا الڤيروس التي بدأت تتسع كل يوم، كان لزاما اللجوء إلى طرق جديدة للتواصل قادرة على استرجاع الثقة التي فُقدت نوعا ما في بعض الهيئات، خاصة من طرف الشباب.

وقد شكلت مدينة الناظور مهد انطلاق مبادرة مدنية مبتكرة من طرف جمعية مركز الدراسات التعاونية للتنمية المحلية «سيكوديل»، تهم إحداث لجان لليقظة المحلية مكونة من متطوعين على صعيد الحي أو الدوار، يحضون بالاحترام والوقار من طرف الجيران مما يسهل عملية التواصل والإصغاء للالتزام بالتدابير اللازمة للوقاية، والحفاظ على أنشطة الدخل بالنسبة للفئات المياومة الهشة.

الجمعيات : شراكات مناسبة، ذات غاية إنسانية واجتماعية

منذ الإعلان عن انتشار ڤيروس كورونا بالمغرب، تعبأت جمعيات جهة الشرق للعمل على وقف زحفه، وتقديم دعم للأشخاص في وضعية هشة والتفاعل إيجابيا مع مختلف إجراءات الحجر.

وقد تم إنجاز بعض هذه الإجراءات في إطار شراكات مع وكالة جهة الشرق.

ونعرض تفاصيل بعض هذه التدابير التي تم القيام بها على مستوى أقاليم الدريوش، الناظور، بركان، وجدة، جرادة وفجيج، في المؤطرات التالية.

يعمل هؤلاء المتطوعون تحت إشراف جمعيات محلية مشهود لها بالكفاءة والنزاهة والعمل الميداني طوال السنة، والتي تنسق بدورها مع الجمعية الإقليمية المشرفة على هذه المبادرة بتنسيق وتعاون مع السلطات المحلية والأمنية. وبهذا يجوب المتطوعون شوارع وأزقة الأحياء والأسواق والمقاهي ومحطات النقل والحافلات والأماكن العمومية... للتحسيس باليقظة للحد من انتشار العدوى والتدابير الوقائية الموصى بها من لدن المصالح المختصة.

جمعية بنفس تضامني بالناظور

جواد بودادا، رئيس الجمعية المتوسطية لتنمية الناظور صحفي وفاعل جمعوي بطبعه، وهو يقود «القافلة الطبية للخير»، التي تتميز باستمراريتها، وجودة العلاجات المقدمة وعدد المستفيدين.

الجمعية المتوسطية لتنمية الناظور جمعية أحدثت سنة 2008. وقد حولت العمل الجمعوي إلى إمكانية المواكبة الطبية والاجتماعية على مستوى إقليم الناظور. إن تأمين المساعدة الطبية المجانية بالنسبة للمعوزين عبر استشارات دائمة وتدخلات جراحية في الأوساط الحضرية والقروية لا يمكن أن يكون تدخلا ظرفيا أو معزولا.

وبالنظر للتطلعات في مجال الصحة، فمن الضرورة القصوى الحفاظ على وتيرة منتظمة لحملات العلاج لإعطاء محتوى ملموس في مجال الصحة للتضامن الذي أعطى انطلاقته صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله والذي يضطلع به مختلف أصناف الجسد الطبي والجمعوي. إنه الطموح الذي تتبناه الجمعية المتوسطية لتنمية الناظور والتي أنجزت أزيد من 200 حملة طبية خلال عقد من الزمن. وسوف تتم هذه التدخلات الطبية بطلب من الساكنة المحلية وعلى شكل قوافل تسمى كلها «القافلة الطبية الطيبة».

وتستهدف القافلة أولا المصابين بأمراض مزمنة في حالة هشاشة، والأشخاص الذين يعيشون في مناطق قروية قاسية ولا يتوفرون على الوسائل للتنقل نحو مراكز الصحة لإجراء التدخلات الجراحية التي تلزمهم، وكذا الذين لا يتوفرون على موارد لعيادة أطباء أو جراحين بالقطاع الخاص. ولم يكن لهذه القوافل أن تعرف النور لولا التزام الأطباء العامين و/أو الاختصاصيين، المجندين لتقديم العلاجات الضرورية للأشخاص في أوضاع صعبة.

وقد قدم العديد من هؤلاء الأطباء دعمهم في هذه الفترة الوبائية في حين أن جل التدخلات تركزت على الأشخاص المصابين بكوفيد-19، مما ترك انطباعا جيدا ومشهودا على الأشخاص الذين يتابعون علاجهم.

«القافلة الطبية الطيبة» تتدخل في حي بمدينة الناظور

تعتبر القافلة الطبية التي تقودها الجمعية المتوسطية لتنمية الناظور إحدى المبادرات البارزة والفاعلة بجهة الشرق وحتى على المستوى الوطني، من حيث الاستمرارية، وجودة الخدمات وعدد المستفيدين. وبشكل مواز، قادت الجمعية قوافل لدعم ساكنة الأطلس التي تضررت من موجات البرد (توزيع مواد غذائية، ملابس وأغطية).

تضاف إلى ذلك الأنشطة الاجتماعية التي يتم القيام بها في هذه الفترة الوبائية : توزيع المساعدات الغذائية والمالية للأشخاص العاملين بالقطاع غير المنظم، والأشخاص الذين فقدوا عملهم أو الذين يضطرون إلى التزام ببيوتهم.

ومن جانب آخر، تستعد الجمعية المتوسطية لتنمية الناظور لتفعيل مجموعة من العمليات الطبية لفائدة الأشخاص الذين يشكون من السكري، الضغط المرتفع وأمراض القلب في إطار محاربة كوفيد-19 والتوعية بخصوصها.

حديث استقاه علي خروبي

تقاسم الفرحة وتقديم المواساة

عبد السلام أمختاري، رئيس جمعية تيسغناس للثقافة والتنمية

تستهدف الشراكة بين وكالة جهة الشرق وجمعية تيسغناس للثقافة والتنمية، الإنسان بكل ما فيه من فطري ودفين : الدعم والتقاسم لإعانة من هم في حاجة إلى مساعدة. لقد مكنت موجة كاسحة من التكافل والتضامن من المساهمة في الحد من آثار تفشي الڤيروس، وكذا إجراءات محاربته، علما بأن هذه الجائحة تسببت في كوارث صحية واقتصادية في بلدان مجاورة في مجموع غرب المتوسط.

ومن أجل وقاية سكان شمال جهة الشرق وتجسيد الأهداف المتوخاة للحد من تفشي الوباء، توَجب التحرك وفق مقاربة استباقية بإشراك العديد من الجمعيات في إقليمي الدريوش والناظور. وإضافة إلى التوعية، كان ينبغي تحويل لحظات الشك هذه إلى فرص للتقاسم.

وهكذا، تم توزيع ملابس خارجية وداخلية وكذا أقنعة صحية قابلة لإعادة الاستعمال لفائدة على :

- أطفال الشوارع ؛
- أشخاص بدون مأوى ونساء في وضعية هشة ؛
- تلاميذ من داخلية ثانوية طه حسين بزغنغن ؛
- نزلاء مركز بني شيكر، والمركب الاجتماعي العروي ومركز الاستقبال لأشخاص دون مأوى بالدريوش.

وقد استهدفت هذه العملية 200 مستفيدا. وقد تم إنتاج المعدات الموزعة، وخاصة عدة للنظافة والتطهير (الصابون، المناديل الصحية، الأقنعة والمطهرات بالمعايير التي حددتها وزارة الصحة) وجل الملابس، من لدن التعاونيات المحلية في إطار إستراتيجية دعم الاقتصاد التضامني والاجتماعي لهذين الإقليمين.

وللشراكات التي تقودها وكالة جهة الشرق هدف ثلاثي :

- تقديم دعم نوعي ودائم للأشخاص أو المشاريع المستهدفة ؛
- إشراك التعاونيات والمقاولات المحلية في صنع ما يوزع ؛

عملية توزيع الملابس لنزلاء مركز الاستقبال للأشخاص دون مأوى بدريوش

- عدم إغفال الأبعاد الثقافية والحضارية لأنها تكرس حقا قيما تتطلب تحيينا يواكب الحقائق الجديدة.

ولا ينبغي على الأشخاص المستهدفين أن يشعروا بأنهم على هامش المجتمع، وينبغي تحفيزهم ومرافقتهم من أجل تحقيق مشاريعهم وآمالهم في حياة أفضل.

وقد أمنت جمعية تيسغناس للثقافة والتنمية أيضا تطهير كل فضاءات الإيواء المؤقتة بالتعاون مع جماعات ترابية ودعم مقاولة متطوعة وضعت رهن الإشارة مستخدميها وكذا آلات التطهير. وقد أمنت الجمعية تتبع التكفل الصحي في حالة المرض، عبر المساعدة في اقتناء الأدوية لأمراض أخرى (خاصة الأمراض المزمنة كالربو، وارتفاع الضغط، الخ.). وكان ينبغي أيضا ضمان الأهم بتقديم قسائم شراء في المساحات الكبرى و/أو عدد صحية وغذائية.

ومن أجل فعالية أكبر، تم تنسيق التدخلات مع قطاع التعاون الوطني والسلطات المحلية لكي تنجز مختلف العمليات في وقتها رغم الصعوبات الناجمة عن الوباء.

حديث استقاه علي خروبي

ويتعلق الأمر باستعمال الكمامة بطريقة سليمة، الغسل المستمر لليدين، التعقيم، التباعد الاجتماعي، التقليص من التنقلات...

وبعد أن داع صيت هذه المبادرة التي تحمل شعار «*ڤيروس كورونا، ياما هو ياما حنا*»، تبنتها إلى حدود اليوم فعاليات المجتمع المدني بعشرين مدينة كالحسيمة، طنجة، مكناس، الجديدة، أكّادير، الدريوش... وعملت على تكييفها حسب الظرفية المحلية واللهجة الأكثر تعاملا بين الساكنة.

إلا أن المجتمع المدني بإقليم جرادة، الذي انخرط بدوره وبدعم مادي ومعنوي في هذه المبادرة والتي اتخذ لها شعار «*حنا كاملين، نخرجو منها سالمين*»، أبدع يوم الدخول المدرسي، الذي تزامن مع تسجيل رقم قياسي في صفوف المصابين تجاوز الألفين مصاب على المستوى الوطني.

بهلوانيون «كلون» لتحسيس الأطفال على مواجهة الجائحة

فمن أجل سنة دراسية آمنة، خاصة بالنسبة للذين فضلوا التعليم الحضوري، وإلى جانب المجهودات التي بذلتها أكاديمية التربية والتكوين والأسرة التربوية والإدارية، دعا القائمون على هذه المبادرة بهلوانات «كلون» لمرافقتهم قصد ضمد الجراح التي خلفها الحجر الصحي على أطفال التعليم الأولي والابتدائي، وليشرحوا لهم بطرقهم الفكاهية الخطر المحدق الذي يتربص بهم وتدابير الوقاية الأساسية من الڤيروس. وقد تجاوب الأطفال بكل عفوية مع هذه النصائح الهامة التي جذبت اهتمامهم والتي أعطت إلى حد الآن نتائج مرضية.

كما تم تشكيل لجينات للتلاميذ على صعيد كل قسم لمواكبة زملائهم في الدراسة من أجل احترام المعايير الصحية، وذلك تحت إشراف لجنة المدرسة المؤطَرة من طرف الطاقم التربوي ومن الجمعيات المحلية المعنية. وأُحدثت أيضا لجنة الجداريات للتعبير فنيا عن خطر الوباء وطرق الوقاية، ولجنة الفايسبوك لاستهداف رواد الفضاء الأزرق.

وبإقليمي الناظور والدريوش لجأت وكالة جهة الشرق إلى تكييف الاتفاقية المبرمة مع جمعية تسغناس للثقافة والتنمية من أجل مواكبة هذه الفترة العصيبة. وفي هذا الصدد نظمت الجمعية عملية «*عيد مبارك*» فقامت بتوزيع الملابس على نزيلات ونزلاء مؤسسات الرعاية الاجتماعية ودور المسنين ومنح كمامات لأطفال في وضعية الشارع ولأشخاص بدون مأوى. ولم يتم التخلي أيضا عن أبناء الرُحل بإقليم فجيج الذين لازموا الحجر الصحي في خيامهم المتواجدة أحيانا بمناطق خارج التغطية، لم تُمكنهم من متابعة الدروس عن بُعد أو لعدم توفرهم على لوازم معلوماتية.

وفي هذا المضمار، تطوع أعضاء الجمعية الخيرية الإسلامية لتدرارة لطبع الدروس والتنقل بالنجود العليا لتسليمها لهؤلاء التلميذات والتلاميذ بخيامهم. أما ببركان، فقد عملت السلطة الإقليمية والوكالة على تحسيس جمعيتين لاقتناء لوحات إلكترونية وهواتف ذكية لفائدة تلاميذ السنوات الإشهادية بالعالم القروي.

كما أن مغاربة الخارج المنحدرين من جهة الشرق وكعادتهم، لم يتخلوا عن وطنهم في هذه الفترة الاستثنائية، فبعثوا دعما ماديا لجمعيات نشيطة بأحيائهم ودواويرهم، قصد توزيع مواد غذائية على المحتاجين بتنسيق مع السلطات كما هو الشأن بالنسبة لجمعية الريف التنموية بإقليم الدريوش.

ومع تمديد فترة الحجر الصحي، قامت الوكالة بتشجيع بعض الجمعيات ودعمها من أجل تنظيم ندوات بتقنية التناظر عن بعد.

وفي هذا الصدد، قامت جمعية العابرون للفن والتنمية بوجدة، بتنظيم سبع مناظرات تطرقت لمواضيع مختلفة، ساهم في بعضها المدير العام للوكالة.

وتتعلق هذه المواضيع بريادة الأعمال لدى الشباب، الثقافة رافعة للتنمية، موقع الشباب في السياسات العمومية... والتي تفاعل معها عدد كبير من المتتبعين مما أثرى النقاش. ومن أجل الحفاظ على الإشعاع العالمي لمدينة الناظور الذي خلقه في السنوات الماضية المهرجان الدولي للسينما، قررت إدارة المهرجان وبتعاون مع الجامعة المستقلة لمكسيكو ومؤسسة الثقافات الثلاث وشركاء آخرين، تنظيم دورة استثنائية هذه السنة تحت عنوان «المغرب وأمريكا اللاتينية : السينما والذاكرة المشتركة في زمن كورونا» بحيث سيتم عرض الأفلام بمدرجات الكلية أمام عدد محدود من المتفرجين والنقاد وتنظيم الندوات عن بعد.

التضامن والتآزر لمواجهة الجائحة

وفيما يتعلق بالجانب العائلي الذي سجل معاناة كثيرة على المستوى النفسي، سيما لدى الأسر القاطنة بالسكن غير اللائق والأحياء الهامشية والدواوير، فإن الفترة الأولى من الحجر الصحي التي تميزت بالخوف والرعب من شبح الوباء، شهدت تلاحما وتآزرا بين أفراد العائلة. فعدد النساء المعنفات خلال شهر أبريل بإقليم الناظور مثلا لم يتعد عشرون حالة. غير أنه مع تمديد الحجر الصحي طفت على السطح مشاكل عائلية عديدة، سواء مع الأبناء الذين اعتادوا من قبل قضاء أوقات طويلة خارج البيوت، أو بين الأزواج أنفسهم، مما ساهم في تضاعف عدد النساء المعنفات.

ومن أجل التصدي لهذه المعضلة، تحركت الجمعيات المعنية ومراكز الاستماع والتوجيه للنساء ضحايا العنف، لمساندتهن وإجراء محاولات للصلح بين الزوجين أو توجيه المعنفات للمحاكم المختصة.

وعلى المستوى الاقتصادي، ومن أجل مساندة المقاولات الصغيرة جدا التي أصبحت مهددة بالإفلاس وتسريح العمال بسبب الوباء، وكذا المؤسسات السياحية التي عاشت أنشطتها هذا الصيف أسوأ فترة منذ إحداثها، تطوع المجتمع المدني لتحسيس المواطنين من أجل تفضيل استهلاك المنتوج المحلي وتشجيع السياحة الداخلية.

إن المجهودات الجبارة التي بذلتها فعاليات المجتمع المدني إلى جانب مختلف المتدخلين خاصة المتواجدين في الصفوف الأمامية، أعطت أكلها بجهة الشرق. فهناك جماعات ترابية لم تعرف إلى حد اليوم أي مصاب بالڤيروس، والجهة برمتها لا تزال من بين جهات المملكة التي تسجل يوميا أقل عدد من المصابين بالوباء، مما جعل بعض مناطقها قبلة للسياحة الوطنية خلال هذا الصيف، ويتعلق الأمر بالمحطة السياحية السعيدية التي كانت هذه السنة في طليعة المناطق السياحية على المستوى الوطني، بفضل توافد السياح المغاربة الذين استمتعوا بعطلتهم الصيفية بالشواطئ الشرقية في احترام تام للمعايير الصحية خلال هذه المرحلة الاستثنائية العصيبة التي تمر منها بلادنا.

ففترة الوباء شكلت درسا حقيقيا لكافة المتدخلين، بحيث أصبحت ضرورة إعادة النظر في تعاملنا أمرا حتميا. والإنسان يجب أن يكون في قلب السياسات العمومية والاهتمامات الأولية للمجتمع المدني، الذي يجب أن ينخرط أكثر في الاستثمار في الرأسمال البشري، في التربية على القيم وعلى المواطنة والانضباط لقرارات الساهرين على الشأن العام، لتجاوز كل العقبات والحفاظ على صحة وحياة الآخرين.

ببركان، المسعفون في مواجهة فيروس كورونا

عمار حمادي، رئيس الفرع المحلي للهلال الأحمر المغربي لبركان

خلال فترة الحجر، تجندت اللجنة الإقليمية للهلال الأحمر لبركان على جبهات عديدة لإنقاذ الحالات المشتبه فيها والمؤكدة. وهكذا، جاب قرابة مائة من المسعفين إقليم بركان من الشمال إلى الجنوب للتنبيه لخطورة الوضعية وتقديم المواساة للمستضعفين وللأشخاص في وضعية هشة. وبنفس المنطق، تجندت مجموعة من 65 مسعفا لاستقبال المغاربة العالقين بالخارج في أحسن الظروف.

فهم من صاحبوهم لاجتياز الكشوفات الضرورية والحجر الضروري في فنادق السعيدية. وقد كانوا أيضا في الجبهة لنقل الحالات المؤكدة نحو المستشفيات المتأهبة لمواجهة الوباء.

وزعت لجنة الهلال الأحمر ببركان 20 000 قفة من المواد الغذائية للعائلات المحتاجة لكل جماعات الإقليم

وهكذا فقد رافقوا 204 مغربيا عائدين من مليلية، و308 من الجزائر العاصمة و300 انطلاقا من وهران، و318 من مدريد وأخيرا 312 من مواطنينا من تركيا. كما أنجز المسعفون خدمة محمودة بمراجعة وإكمال لائحة المستفيدين من المعونات بإقليم بركان.

مواد غذائية بالهلال الأحمر لبركان

إنها عملية واسعة لتوزيع المواد الغذائية والمساعدات المالية لفائدة زهاء ألف شخص يعيشون اليوم ليومه : بائعون متجولون، عمال مياومون، خادمات بيوت، حرفيون، بائعو الأثاث المستعمل والعتيق، الخ. وعملية توزيع هذه السلات الغذائية والصحية لم تكن بسيطة، وكان يجب إنجازها وفق معايير الإنصاف ومقاربة تعتبر الانتظارات الحقيقية للأشخاص المستهدفين والوسائل المتوفرة.

ومن جانب آخر، أسهمت اللجنة الإقليمية للهلال الأحمر في النجاح اللوجستيكي لمحاربة كوفيد-19 بتعيين ثلاثة مسعفين للعمل في اللجنة الإقليمية لليقظة.

كما شارك أعضاء آخرون في حملات للتوعية بالتدابير الوقائية التي ينبغي احترامها، بتوزيع كمامات، أقنعة وسوائل هيدرو كحولية بكل بلدات الإقليم مع قياس الحرارة على مستوى كل الحواجز الطرقية للدرك الملكي. ونفس الممارسة بالنسبة لـ 69 مسعفا وضعوا رهن إشارة المندوبية الإقليمية لوزارة التربية الوطنية لمختلف أشكال التوعية على مستوى مراكز الامتحان خلال دورات الباكالوريا.

حديث استقاه علي خروبي

مؤسسة أصدقاء فجيج : حجر صحي في خدمة التنمية

عمر عنان، دكتور في الرياضيات المطبقة، وأيضا عضو مؤسس وأمين مال مؤسسة أصدقاء فجيج، وكاتب عام لجمعية دعم التعليم العالي ونائب رئيس جمعية بلسم لمساعدة مرضى السرطان. والجمعية تدعم المحرومين وخلق أنشطة مدرة للدخل، وقادت إعداد نموذج للتنمية خاص بفجيج.

المؤسسة التي أحدثت في فبراير 2020، تسعى لأن تكون فاعلا للتنمية الترابية. من يكونها ؟

تمثل المؤسسة استكمالا لمنصة «أصدقاء فجيج» التي، منذ إطلاقها على الانترنيت في نونبر 2018، تجمع آلاف الأعضاء بالمغرب وبالخارج. والمؤسسة لا تستمد قوتها فقط من أعدادها الكبيرة، ولكن بالخصوص من جودة نسائها ورجالها : محسنين، أطر، مقاولين وفاعلين جمعويين، يساهمون هنا وهناك في التنمية والإشعاع العلمي والثقافي لبلادنا، أشخاص كأولئك الذين ساهموا في بناء وتجهيز مؤسسات جامعية، مدارس، مراكز صحية، تجهيزات رياضية ومراكز اجتماعية...

ما هي أول أعمالكم ؟

في مواجهة الأزمة الصحية، عبأت المؤسسة وسائل بشرية ومالية مناسبة لمساعدة الساكنة المتضررة، حتى يتسنى خلال هذه الأشهر الأخيرة توزيع مساعدات غذائية و/أو مالية لأزيد من 630 5 عائلة محتاجة في عدة جماعات بجهة الشرق : 200 1 سلة بفجيج ومثلها بعين بني مطهر، و500 1 بتندرارة، و000 1 بمعتركا، و460 بعبو لكحل، و40 بايش، ومساعدات مالية بوجدة لـ 230 أسرة، وطالبات وطلبة... وقد أشرفت السلطات المحلية على هذه العلميات بتعاون مع اللجن المحلية للمؤسسة، التي سهرت على شفافية العمليات وعلى احترام التدابير الصحية الجاري بها العمل.

هل أنجزتم عمليات أخرى بالموازاة ؟

منذ إحداثها، أعطت المؤسسة الانطلاقة لعملية كبيرة تحت شعار «مشاركة مواطنة من أجل شباب نشيط»، بغرض تشجيع خلق أنشطة مدرة للدخل بجهة الشرق بواسطة رعاية ومواكبة خاصين. وقد جمعت المؤسسة لهذه الغاية، خبراء ومصرفيين لفائدة مجموعتين من شباب فجيج ووجدة. وبشراكة مع بنك إفريقيا (Bank of Africa) ، تم إعداد حافلة كبيرة مجهزة بمكاتب لاستقبال حاملي مشاريع شباب من أجل تفصيل الخطوات الواجب إتباعها للحصول على القروض والتمويلات. وهذه القافلة، التي أجلت بسبب الأزمة الصحية، كانت ستربط وجدة بفجيج مرورا بعين بني مطهر وتندرارة وبوعرفة.

تضم فجيج العديد من الشباب وحاملي الشهادات الذين يبحثون عن عمل. هل هم ضمن اهتماماتكم ؟

حصلت جهة الشرق للسنة الخامسة على التوالي على أحسن النتائج

في امتحانات الباكالوريا. وعلينا أن نحتفي بإقليم فجيج الذي حقق نسبة 99%. ومع ذلك، فإن حاصلين ممتازين على شهادة الباكالوريا، ينحدرون من جماعات محرومة ومعزولة، يحتاجون إلى دعم خاص لتسهيل انتقالهم من الثانوية إلى الجامعة وتمكينهم من متابعة تعليمهم العالي في شعب الامتياز. ويتعلق الأمر بتشجيع التفوق المدرسي وبث قيم ومبادئ لدى هؤلاء الشباب. وبالتالي إعداد النخبة بواسطة آلية قوية للمواكبة. ولهذه الغاية، نظمت المؤسسة بشراكة مع جمعية دعم التعليم العالي والبحث العلمي، «امتياز 2020»، وهي عملية مخصصة لإعداد مجموعة من التلاميذ المستحقين لاجتياز مباريات الالتحاق بكليات الطب، وطب الأسنان والصيدلة، من 24 إلى 27 يوليوز 2020. كما أنه في إطار اتفاقية التعاون بين المؤسسة وجامعة الأخوين، فإن التلاميذ الذين تقترحهم المؤسسة والذين يستجيبون لشروط الولوج إلى هذه الجامعة، سيستفيدون من منحة تقدمها هذه الجامعة، تساوي 50% من تكلفة الدراسة، إضافة إلى دعم من المؤسسة.

هل المؤسسة معنية بالتنمية السوسيو- اقتصادية وبالمحافظة على التراث ؟

تساهم المؤسسة في انبثاق نموذج تضامني جديد للتنمية، عادل ومسؤول، كما دعا إليه صاحب الجلالة في خطابه لـ 20 غشت 2019. وقد رسمت الخطوط العريضة بالنسبة لفجيج، وعرضته على السيد شكيب بنموسى، رئيس اللجنة الخاصة حول النموذج التنموي خلال زيارته لجهة الشرق. وتمر تنمية فجيج بالأساس عبر تثمين تراثها، والارتقاء بسياحة إيكولوجية وفلاحة تضامنية. وفي هذا الاتجاه، تأمل المؤسسة ، بصحبة خبراء، في تزويد الواحة بمشروع سياحي مندمج. وعليها بالتالي أن تشرع في تقييم وصيانة التراث الطبيعي والهوياتي لفجيج ومجالها الترابي. وقد تجسد ذلك مؤخرا من خلال اقتراحات بناءة حول مشروع «طريق سياحي» يجري إنجازه بالواحة. وهكذا، تكون المؤسسة قد أوفت بالدور المنوط بها دستوريا.

حديث استقاه علي خروبي

الجمعيات في الخطوط الأمامية ضد الوباء

الأستاذة سليمة فراجي
محامية ورئيسة جمعية فضاء الشباب

الكاتبة حاصلة على دبلوم في القانون الدولي الإنساني، وأول محامية في هيئة المحامين على الصعيد المحلي. وكانت عضوا في البرلمان الدولي للمناخ، وقد منحها نادي الأسود الدولي، الذي أسست وترأست فرعه الوجدي جائزة أحسن فاعل في المجتمع المدني سنة 1998. كما أنها الرئيسة المؤسسة لجمعية «فضاء الشباب، حي النكّادي»، المحدثة سنة 2003 والمخصصة للنساء والأطفال المحرومين. كانت رئيسة للجمعية الأندلسية للطرب الغرناطي ونائبة برلمانية ونائبة رئيس لجنة العدل والتشريع وحقوق الإنسان بالبرلمان.

تشكل أزمة كوفيد-19 اختبارا كبيرا وكما كل الاختبارات التي تهز النماذج القائمة، تعزز إرادة الإنسانية على تجاوز ذاتها ومواجهة الحالات غير المتوقعة. هذا ما تم تأكيده خلال الشهور الأخيرة، حيث تعرضت المملكة، بل العالم بأسره، للتداعيات الخطيرة لوباء لم يستثن أي أحد.

رغم أن المغرب دولة في طريق النمو، فقد اعتبرت من الدول التي استطاعت أن تدبر تداعيات أزمة فيروس كورونا على وجه جيد بفضل المجتمع المدني ومجموع المواطنين والمحسنين والعمل الذي قامت به الدولة، بتوجيه من عاهل البلاد، مما يدل على الالتزام الشامل للمجتمع المغربي.

وقد تجسد ذلك بالخصوص بإحداث صندوق خاص بمبلغ 33,7 مليار درهم لمواجهة المصاريف الصحية الاستثنائية ودعم القطاعات الاقتصادية المنكوبة.

أكثر من 100 مليون درهم تم تحصيلها في الجهة مقابل شبكة تضامنية أفضل

تم استكمال هذا التضامن الوطني بإسهامات محلية يقودها فاعلون جمعويون ومحسنون والمجالس المنتخبة للعديد من الجماعات المحلية على مختلف المستويات. وقد تعبأ الفاعلون الجمعويون لجهة الشرق للتأكيد على أن المواطن المغربي هو بطبعه متضامن وسخي ومتطوع، وخاصة في الأوضاع المتأزمة.

ومما يثلج الصدر أن نرى مواطنين بسطاء، يتجندون فورا وبوسائلهم الذاتية لمساعدة الأشخاص في وضعية هشة بالانخراط في جمع أموال ومواد غذائية لفائدة المحتاجين والمسنين والمياومين الذين فقدوا أعمالهم...

هكذا، تم بسرعة جمع أكثر من 100 مليون درهم، مكنت من تأمين تشبيك أفضل وأكثر كثافة، لتقديم مساعدة ملموسة لفائدة الأشخاص المعوزين بالأقاليم الثمانية للجهة. كما قام الشباب من جهتهم، بتحويل واجهات الأزقة المتهالكة إلى ملاذ للخضرة والنظافة. حيث أبدعوا وقاموا بتزيين الأحياء وصيانة الحدائق العمومية، وأعادوا كذلك ذهان أرصفة وجدران البنايات الخارجية، بحيوية مبهجة، ورغبة صادقة لا تفتقر للابتكار والإبداع، عبر أعمال فنية فردية وجماعية. كما عملت منظمات المجتمع المدني والحركات التي يقودها الشباب على تعبئة سكان مجموع الأحياء.

تحركت كل هذه الفعاليات من أجل حماية المجتمع ودعم السلطات العمومية وكذا العاملين في قطاع الصحة للمساهمة في مواجهة وباء خبيث وصامت.

تعبئة فورية للمساعدة ورغبة في البدل والعطاء

سهر الفاعلون بالمجتمع المدني لجهة الشرق على :

- توعية المواطنين بأخطار الڤيروس وباستعمال أحسن الوسائل للحد منه وتخفيف سرعة انتشاره ؛
- تنظيم حملات هادفة لتعزيز ونشر تدابير الحجر والتباعد الاجتماعي التي يوصي بها المرسوم بمثابة قانون رقم 2.20.292 المتعلق بالتدابير الخاصة بحالة الطوارئ الصحية ومساطر الإعلان عنها، مع حثهم على عدم مغادرة بيوتهم إلا للضرورة القصوى ؛
- المشاركة في حملات ميدانية تتعلق بتطهير الفضاءات العمومية ووسائل النقل العمومي.

من جانب آخر، نظمت العديد من الجمعيات حلقات عن بعد لمعالجة مختلف المواضيع من أجل إشراك الأشخاص الملتزمين بالحجر في النقاشات الاجتماعية والاقتصادية، الثقافية، التعليمية والصحية.

أظهرت نوادي طلبة جامعة محمد الأول بوجدة عن علو كعبها في مجال البحث واختراع أدوات ومعدات وآلات موجهة لمكافحة الوباء وتداعياته.

وقد وضعوا هذا الهدف في إطار توجه عصري ومجدد، ضمن ديناميكية الثورة التكنولوجية للقرن الواحد والعشرين، المتميزة والمتجسدة في الأنشطة الرقمية، الافتراضية حسب تسميتها، مما يجعل الإشكالية في علاقة مباشرة مع النموذج الجديد للتنمية وإنجاز الإصلاحات في ميادين التربية، والتكوين والبحث العلمي. وقد تمت برمجة قرابة مائة من الندوات والمنتديات عن بعد من طرف الفاعلين في المجتمع المدني، في مواضيع تتعلق بالتوعية في ما يخص مرسوم حالة الطوارئ الصحية، والمساطر أمام المحاكم.

وقد أعدت شبكات التلفزيون الوطنية ومواقع الأخبار استطلاعات حول العمل الذي قامت به مختلف جمعيات الجهة.

إنه الأمر مثلا بالنسبة للوثائقي الذي أنجزته قناة 2M داخل جمعية «فضاء الشباب» خلال فترة الحجر، والذي تحدث عن نشاط هذه الجمعية ووصف الأنشطة المقدمة للمعوزين، علما بأن مشروع القانون 18-72 يستهدف الطبقات المعوزة الراغبة في الاستفادة من برامج الدعم الاجتماعي. وقد كان تحديد هذه الأصناف موضوع نقاش بالبرلمان، حتى يتم تجنب منح الإعانات إلى أشخاص ليسوا في حاجة حقيقية لها. وعلى سبيل المثال، وبالنسبة لنا، فإن «فضاء الشباب» هيأ، ونقل بعربات شحن صغيرة ووزع سلات مساعدة في احترام تام للكرامة الإنسانية : دون استعمال آلات تصوير، ولا كاميرات، ولا أخذ لقطات بالهاتف المحمول، والتي قد تستعمل لغايات لا علاقة لها مع روح التكافل والتضامن.

مفاحم جرادة تعمل من أجل حماية الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة من كوڤيد-19

يناضل لحسن الغالي، رئيس جمعية مفاحم المغرب والنائب السابق لجرادة والفاعل الجمعوي منذ أزيد من 35 سنة.

إن الدفاع عن مطالب الأشخاص في وضعية إعاقة حركية والمساهمة في الاستجابة للانتظارات الثقافية والبيئية والاقتصادية لإقليم يواجه صعوبات كبرى، ليس بالأمر الهين. ومع ذلك، فإن أعضاء جمعية «مفاحم للأشخاص المعاقين، والثقافة والتنمية لجرادة» يؤمنون بإمكانية تحويل تطلعات مجموعات الأشخاص في وضعية إعاقة إلى مشاريع ذات أغراض تنموية متعددة.

وإن النضال من أجل حل المشاكل الاجتماعية لقدماء منجمي مفاحم المغرب، الذين أضعفتهم أمراض أو حوادث مهنية، لا يمكن فصله عن حماسة اجتماعية تجعل الإنسان في مركز انشغالات الجمعية. فالتدخلات تشمل في نفس الوقت دعم الضحايا المباشرين والمساعدة المقدمة لعائلاتهم التي تتحمل في الغالب ثقل وتداعيات الإعاقة.

وسينبغي أن يتقوى هذا الاهتمام في الظروف الحالية، كما في حال الكوارث الطبيعية (الجفاف مثلا) أو تراجع اقتصادي. والحالة في جهة الشرق في ربيع 2020 إلى صيف قد تجمع كل هذه العوامل الثلاثة.

في هذه المراحل المشوبة بالشك، تعمل الجمعية لتستمر روح التضامن الملاحظ خلال الشهور الأخيرة ولكي لا يتفاقم النقص الحركي للإعاقة بصدمات نفسية. والتعريف بمجهود الجمعية لمواكبة الأشخاص المصابين بمختلف الإعاقات الجسدية تشكل أهمية كبيرة للتعبير عن دعم المجتمع للنساء والرجال الذين يعانون في صمت. وأن نجعل منهم حاملين لرسائل ذات غايات ثقافية وسوسيو- اقتصادية هي وسيلة لإدماجهم في هذه الدينامية الإيجابية التي يعرفها إقليم جرادة.

وتُآزر جمعية مفاحم على حقوق المنجميين المرضى أو ضحايا حوادث مهنية، بدعم إمكانياتهم في مجال المرافعة من أجل تجنب الالتباسات والشكاوى التي لا أساس لها. فبفضل تكوين قانوني وجمعوي، سيكون بوسع الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة الدفاع عن ملفاتهم وطلباتهم لدى المؤسسات المختصة في إطار دولة القانون.

في مواجهة الوبـاء، الـفن يـهدئ ويـبـعـث رسائـل أمـل

خالد سلي
مدير المهرجان المغاربي للفيلم

الكاتب هو قبل كل شيء مدرس. وقد جعل من السينما شغفه، بحيث أنه وراء تنظيم العديد من اللقاءات حول الفن السابع للمحافظة على تقليد راسخ بعاصمة جهة الشرق يتمثل في العناية بالفنون وبالصورة. وبفضل مثابرته وإيثاره، فقد أصبح المرجع السينمائي لكل الجهة. وهكذا فهو مؤسس ومدير المهرجان المغاربي للفيلم كما يرأس جمعية سيني مغرب (Ciné Maghreb) التي أسست المهرجان الذي يوجد في دورته التاسعة.

لـم يسبق أن دعي الفن عموما والسينما بالخصوص، بهذا الإلحاح، لتحمل أدوار التوعية بخطورة الفترة التي تجتازها الإنسانية بسبب فيروس كورونا. فالفرد لا يمكنه في مواجهة الوباء أن يؤمن خلاصه بشكل مستقل عن الآخرين، حيث يفرض عليه التخلي عن غروره لإنقاذ ما تبقى من إنسانيته ومن القيم الكونية التي تتمثل في التضامن في مواجهة الأخطار.

فرصة للتأمل والاستماع لكائننا المبدع

بالرغم من الأوجه الضارة، فقد كان للوباء الفضل في منح الفرصة للتأمل في وضعيتنا والاستماع إلى هذا الكائن المبدع الذي يكمن في أعماق كل واحد منا.

هو ما سماه قدامى الشعراء، بحق، «طيف الشعر»... فإذا لم يطلق الشخص العنان لطيفه الإبداعي، فسيكون الخاسر الأكبر.

لوحة حائطية بمدرسة وادي المخازن : الشباب يزينون أحيائهم.
ظاهرة حضرية بارزة في فترة الحجر الصحي

هذا الطيف يلازم طبعا الشعراء، ولكنه يسكن أيضا كل فنان ويوجد في كل الميادين الثقافية. يتميز الفنان بخياله وأحلامه التي تعيد اختراع وتزين وتتجاوز الحقيقة وتعرضها بصورة استيتيقية وحاملة في الغالب للأمل. ورغم المكانة المهيمنة التي تحتلها العلوم الإنسانية، فإن الفن، بمختلف تعبيراته، يقدم هذه القيمة المضافة التي تجعل الحقيقة أكثر جمالا وأقل قسوة.

إنه حال السينما، التي هي دائما على أهبة وسبّاقة بطرح الأسئلة الفلسفية المجتمعية المعالجة عبر صور ولقطات في غالبيتها مهدئة وتبث خطابات أمل في مستقبل أفضل.

العديد من العمليات الفنية بجهة الشرق

بالنسبة لجهة الشرق تفتقت العديد من التعبيرات الفنية خلال الشهور الأخيرة، وخاصة إبداع شباب الأحياء. وقد زين تشكيليون شباب الأزقة، الساحات العمومية وواجهات المؤسسات التعليمية بواسطة الرسومات واللوحات. وقد حولت بعض النقط السوداء للمدينة إلى عروض جميلة للمشاهدة وحتى للاستمتاع.

هذا الزخم الإبداعي والحدسي يدل على أنه حتى الجائحة يمكنها أن تمنح فرصة لتعبير الابتكار الراسخ في الخيال الثقافي الجهوي. وهو ما تقوم به مثلا مجموعة الدزوري على مستوى المدينة العتيقة لوجدة.

على المستوى الشخصي، فقد انتهيت قبل أيام من سيناريو شريط سيتم تصويره قريبا. فهو يعالج من بين ما يعالج جوانب فترة الحجر. نفس الشيء بالنسبة لإخراج سينمائي يمزج أشكالا موسيقية لجهة الشرق وموسيقات يقال عنها كلاسيكية.

في ما يخص المهرجان المغاربي للفيلم، الذي يتواصل دعمه في إطار شراكة مع وكالة جهة الشرق، فالتظاهرة في دورتها التاسعة وستكون هذه المرة منجزة بصورة حية عبر مختلف أدوات الإيصال المباشرة وعلى الشبكات الاجتماعية.

يعتبر البث الحي ضروريا لبلوغ أكبر عدد من عشاق الفن السابع وتمكين مختلف المتدخلين، بفضل التطبيقات التي توفر حلولا للمؤتمرات عن بعد، من التفاعل ومناقشة المواضع التي تتطرق لها الأفلام المعروضة.

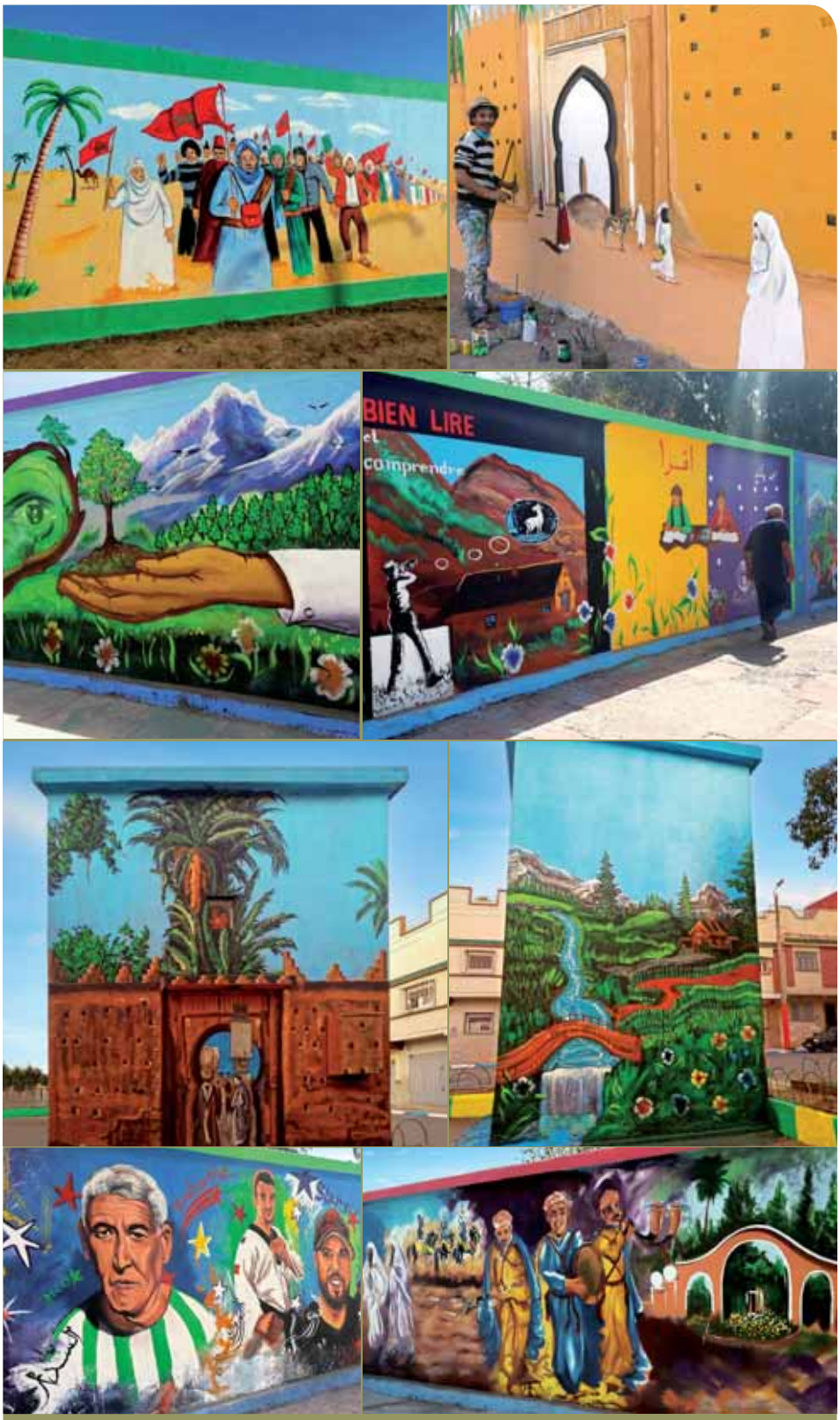

وجه مشرق للميدالية، خلقت الأزمة روحا من الافتخار بالذات. وقد دفعت إلى تجاوز الامتحانات برسم وتخطيط ذكريات، ورؤى، وآمال، بألوان الحياة... وقد حول شباب أحياء مدينة وجدة (لزاري، بودير، النصر، جوهرة، التقدم، الخ.)، مؤطرين من طرف الجمعيات، ورسامين تشكيليين محترفين أو بمجهودهم الخاص، العديد من الواجهات إلى لوحات تعبر عن رغبة في مدينة نظيفة، ومشرقة حيث يحلو العيش

الصحافة وكوفيد-19 : مساهمة إيجابية ومقاربة مواطنة

زهر الدين الطيبي أستاذ وباحث بجامعة محمد الأول بوجدة ومنسق فريق البحث في مجال قانون الإعلام والتواصل. حاصل على دكتوراه في العلوم القانونية والسياسية، ومتخصص في حماية مصادر الصحفيين. نشر مئات المقالات في مجلات مختلفة، كما له أيضا إسهامات في الصحف ومحطات التلفزيون.

ذكرنا العديد من كبار مسؤولي الأمم المتحدة بأن وسائل إعلامية حرة ومستقلة أساسية لمحاربة الوباء والتضليل الإعلامي الذي يصاحب انتشار كوفيد-19. «*فعندما يُهاجم الصحفيون، فالمجتمعات بأكملها تؤدي الثمن*».

ولا يمكن لأي ديمقراطية أن تعمل دون صحافة حرة، لأنها تعتبر «*حجر الزاوية للثقة بين الأشخاص ومؤسساتهم*»، كما ذكر بذلك أنطونيو كوتريش، الأمين العام للأمم المتحدة، في الحوار رفيع المستوى الذي نظم بتقنيات التواصل عن بعد حول حرية الصحافة ومحاربة التضليل الإعلامي في ظل فيروس كورونا.

وسائل الإعلام لعبت دورا أساسيا في التحكم في تفشي الوباء

يواجه العالم، منذ شهور عدة - وبالطبع وسائل الإعلام - تحديا جديدا وقويا هو كوفيد-19، الذي يؤثر على كل شيء في طريقه. «*موازاة مع الجائحة، نعايش وباء خطيرا يتمثل في التضليل الإعلامي الذي ينطلق من النصائح الصحية الضارة وخطابات الحقد، ليصل إلى نظريات المؤامرة*»، كما قال آسفا كوتيريش.

هذا يعني بوضوح بأن وسائل الإعلام هي سلاح دو حدين. نافع أو ضار ؟ وعلى كل واحد أن يهيئ تحليله ويستخلص النتائج ليوجه الجهود المبذولة نحو ما فيه فائدة للإنسان المواطن.

إذا كانت الأخبار بالمغرب يهيمن عليها وباء كوفيد-19، فإن العدد اليومي للحالات الإيجابية، وللوفيات والصدمة الاقتصادية، حتى بالنسبة لوسائل الإعلام، تشهد بأن الجائحة غيرت سلوكاتنا وطريقة التعامل مع ظروف العيش. فالأزمة الصحية غنية بالدروس، وقد لعبت الصحافة المحلية دورا بارزا في التوعية وفي محاربة التضليل الإعلامي رغم الظروف والإكراهات.

وقد تبين أن كوفيد-19 هو في نفس الوقت فرصة وتهديد. ومن جهة أخرى، فإن خطورة الأزمة الصحية والطريقة، التي سيرت بها الحكومة الأزمة، والتي كانت أحيانا كارثية، أظهرت تعطشا واضحا لدى الجمهور لأخبار دقيقة وموثوقة ومبنية على وقائع.

من هو الصحفي الذي يفكر أن تغطية الجزء الكبير من الأزمة الرئيسية لعصرنا هذا ينبغي قد تتم عن بعد، من داخل البيت، مع تواصل محدود مع أطراف الأحداث ؟ من المهم أن نفهم بأن الأخبار الدقيقة والموثوقة وذات المصداقية هي وحدها التي تكتسي طابع الحيوية في فترة الأزمة الصحية.

إن لوسائط الاتصال التقليدية وللشبكات الاجتماعية دور أساسي عليها أن تتحمله. دور حاسم لإشباع الحق في المعلومة، وللتوعية وبالتالي للحث على محاربة فيروس كورونا.

وقد تولت وسائط الاتصال العمومية والخاصة في هذه الظروف المتأزمة، دورها وشرفت مهنتها، لترتقي إلى مستوى مرفق عمومي يخدم المصلحة العامة. فالمعلومة تعتبر كملك مشترك.

الشبكات الاجتماعية أصبحت فضاء لا غنى عنه للتبادل

بشكل موازٍ، أصبحت وسائط الاتصال الاجتماعية فضاء لا غنى عنه لتبادل المعلومات حول الفيروس، رغم كون التضليل الإعلامي استمر في التواجد. وفي عصر كوفيد-19، شكل التضامن والتعاون مجالين خصبين. وقد لعبت الوسائط التقليدية، بالمغرب عموما وبجهة الشرق بالخصوص، دورا أساسيا، بنشر، على سبيل المثال، معلومات لجمع أموال لفائدة الأشخاص الذين تأثروا أكثر بالأزمة. ولم يتأخر انخراط الوسائط الاجتماعية في هذه القضية عن طرح ثماره.

في الواقع، علينا أن نكون موضوعيين ونحيي عمل وسائط الإعلام منذ بداية أزمة فيروس كورونا بالمغرب. فصحفيو الصحافة المحلية بوجدة كما بمدن أخرى بالجهة لعبوا دورهم بكل مسؤولية بتبليغ المعلومات الفاصلة لخوض المعركة ضد هذا الفيروس.

لقد كان إسهاما إيجابيا ومواطنا اتضح أثره في النسبة المنخفضة المسجلة لتفشي المرض بالجهة، على الأقل خلال فترة الحجر.

ويجدر التذكير بأن صحفيي مختلف المؤسسات الصحفية، وكذا كل الذين يشتغلون أو يتعاونون مع مواقع إلكترونية، خاضوا صراعا ضد التضليل الإعلامي حينما كانت أخبار خاطئة تنتشر في المواقع الاجتماعية، بواسطة استطلاعات ممتازة على المستوى الجهوي، من إعداد كل الصحفيين الذين ساعدوا الجمهور العريض على استجلاء الحقيقة.

في هذا الاتجاه، ساهمت الصحافة المحلية في تماسك مجتمعنا. وينبغي أن تعتبر في هذه الظروف الصعبة فاعلا أساسيا، وفي الصفوف الأولى، من أجل التحقق من مصادر المعلومة. لا يتعلق الأمر بتاتا بمقارنة الصحافة مع بطلاتنا وأبطالنا بالمراكز الاستشفائية ومراكز الفحص.

غير أنه ينبغي أن نعطي لكل ذي حق حقه : فوسائط الاتصال ضرورية من أجل ضمان التداول الحر للمعلومة وإغناء النقاش العمومي، وتشجيع المزيد من الشفافية في مواجهة وضعية ملتبسة بالتأكيد وتبسيط المعلومة الصادرة عن أصحاب الخبرة.

بشكل عام، فقد ساهمت وسائط الإعلام بجهة الشرق في محاربة الوباء، بمواكبة السلطات العمومية في حملات المحاربة والتوعية من أجل وقف انتشار الفيروس. وتستحق مساهمتها التنويه والتشجيع لأنه بفضلها هي الأخرى سجلت جهة الشرق نسبة منخفضة من العدوى.

النموذج الجديد للثقافة رافعة جديدة للتنمية

مريم الناوي
إطار عالي بوكالة جهة الشرق، مكلفة بالتنسيق بمعرض آداب مغاربية
مسؤولة عن برمجة «الطفولة والشباب»

الكاتبة إطار عالي بوكالة جهة الشرق، تواكب بالخصوص الجمعيات التي تعبئ وتحرك شباب الجهة. سهرت في هذه الفترة المضطربة، على المحافظة على دعم الوكالة لهذه الآليات النابعة من المجتمع المدني، ولكن هذه المرة عبر عمليات غير مسبوقة تتناسب مع الوضعية. جولة عبر هذه الأنشطة.

تعتبر سنة كوفيد-19، أو سنة الحجر الصحي الكبير، سنة استثنائية وغير مسبوقة : وضعية صعبة سواء على الصعيد الاقتصادي أو الاجتماعي. فقد توقفت بعض الأنشطة، كما مُنعت عدد من التجمعات...

لقد كان قطاع الصناعات الثقافية الإبداعية وتلك التي تنظم وتقِيم الأحداث متوقفا. وقد فرض الحجر نفسه، مما نتجت عنه سلسلة هامة من الصعوبات في كل القطاعات، خاصة قطاع الثقافة بكل فروعه (سينما، نشر، فنون، سمعي بصري، عروض حية، حفلات موسيقية، مسرح، جولات، أروقة، مهرجانات...).

الثقافة، الضحية الرئيسية للوباء

إن الولوج للثقافة، أكثر منه للقطاعات الأخرى، لم يكن قط بالأمر البديهي أو اليسير. إلا أن الثقافة لم تكن في السابق بالأهمية التي تكتسيها الآن من حيث دورها في مساعدتنا على تحمل ومواجهة الآثار النفسية لعزلتنا.

وقد ظهرت نماذج جديدة لاستهلاك الثقافة، حيث تفجر العمل الثقافي الرقمي أو لـ «الثقافة في المنزل»، وخاصة عبر تثمين وتوزيع الموارد الرقمية، على مواقع الانترنيت والشبكات الاجتماعية : زيارة افتراضية لمعارض، أفلام مذاعة، ندوات عن بعد، تدوينات صوتية للشباب، اختبارات، الخ. وقد كانت المبادرات متعددة ومتنوعة.

ووعيا منها بالصعوبات الناجمة عن هذه الوضعية الصحية ومن أجل تأمين استمرارية الخدمات الثقافية المعتادة (ومختلف التدخلات في العديد من القطاعات)، عملت الوكالة على تعزيز إستراتيجيتها الرقمية وتكييفها مع السياق من أجل مواكبة السكان في مختلف مجالات تدخلها في فترة الوباء هذه.

في هذا الإطار، تمت مواكبة العديد من الأنشطة من لدن الوكالة، وخاصة على الصعيد الثقافي، عبر المشاركة والمصاحبة على الشبكات الاجتماعية والورشات والأنشطة أو الندوات عن بعد التي نظمتها جمعيات شباب جهة الشرق.

وقد أظهر هؤلاء الشباب عن حماسا وتفاعلا كبيرين مع هذا الشكل الجديد من التواصل الثقافي.

وقد شهدنا في الواقع طوال فترة الحجر الانخراط الكبير في الشبكات الاجتماعية، وإنتاج العديد من البرامج الفنية والاجتماعية الجديدة، التي تبرز تطلعات المواهب الشابة بالجهة، أو الصعوبات النوعية التي تعترضها في إنجاز مشاريعها.

كان الإبداع والتجديد في الموعد، وهو تحدي استطاع شباب جهة الشرق أن يرفعوه بتواجد قوي على الشبكات الاجتماعية وانخراط كبير في خلق محتويات ثقافية من أجل تقديم المزيد من الأنشطة الترفيهية، التربوية والاجتماعية...

وقد شكلت المحافظة على النشاط والالتزام خلال هذه الفترة الاستثنائية، مع الوعد باقتراح المزيد من الأنشطة غير المسبوقة، والتي تتنافس من حيث الابتكار والإبداع، تجسيدا للغنى المدهش لشباب جهة الشرق.

لقد كان عدد جمعيات شباب جهة الشرق التي عملت في الساحة الثقافية خلال فترة الحجر كبيرا. ونقدم في ما يلي بعضا من الأنشطة التي تم تنظيمها.

نجاحات نموذجية جميلة حول الشباب

جمعية العابرون، وهي مجموعة من الشباب ينحدرون من أوساط فنية مختلفة ويعملون من أجل خدمة قضية الشباب المغربي، نظمت عدة منتديات عن بعد.

وقد رغبت اللجنة الخاصة حول النموذج الجديد للتنمية في إشراك الفاعلين الوطنيين من أجل توسيع فضاء الحوار حول القضايا المرتبطة بالتنمية والاستماع لرغبات مختلف الفاعلين.

ولهذه الغاية، نظمت جمعية العابرون، التي تعمل أساسا بجهة الشرق، ندوة عن بعد حول موضوع : «الثقافة، رافعة للتنمية».

في نفس المحور المتعلق بتنمية قدرات الشباب، تم تنظيم لقاء حول ريادة الأعمال بالنسبة للشباب لمناقشة أهمية توعية الشباب ومواكبتهم في هذا المجال.

جمعية رسالة الفن للتنمية والإبداع، هي جمعية شباب نشيطة جدا في مجال البرمجة على الشبكات الاجتماعية، خاصة السمعي البصري (حيث تنظم سنويا مهرجان فيلم الهواة لوجدة)، قامت ببرمجةٍ نوعية مع تكوينات ولقاءات وأيضا مباريات. وفيما يلي حدثان نموذجيان قامت بهما الجمعية :

- **راديو أكاديمي**، وهو مشروع تدريبي لمواكبة الشباب في مجال إبداع محتويات رقمية وبصرية تعكس أفكارهم، مع بث برامج على الشبكات الاجتماعية التي تسلط الضوء على تطلعات المواهب الشابة لجهة الشرق ؛

• **لقط آر** (لقطات فنية)، وهي مباراة منظمة مع برنامج المشاركة المواطنة، من أجل تشجيع الشباب على إنتاج ڤيديوهات من منازلهم، وهي وسيلة لتشجيعهم إلى جانب حثهم على البقاء في بيوتهم.

أبرم **المعهد الفرنسي للمغرب لوجدة** شراكة مع وكالة جهة الشرق في نفس الاتجاه من أجل إعطاء الانطلاقة للمباراة الوطنية للقصة المصورة في موضوع «حيي». وقد شهدت هذه المباراة مشاركة شباب من الجهة وأيضا من مناطق أخرى بالمملكة. وقد كان أيضا للأطفال مكانهم في برمجة أنشطة خلال فترة الحجر.

بالفعل، فقد عانى الأطفال كثيرا من وضعية الحبس الناجمة عن إغلاق المدارس والتعليم عن بعد، كما كان من الصعب تدبير هذه المسألة. وقد كان المجتمع المدني، وخاصة الجمعيات التي تعمل مع الأطفال أو التي تنظم أحداثا لفائدة هذه الفئة، على وعي بالصعوبات التي يواجهها الآباء، وخاصة من أجل تصريف طاقة الشباب.

قامت **جمعية الطفولة الشعبية**، عبر فرعها بمدينة الناظور بمجموعة من الأنشطة الترفيهية للأطفال.

وهكذا أحدثت الجمعية قناة على الشبكات الاجتماعية حيث كانت تبث العديد من البرامج نظمتها لفائدة الأطفال، الذين شكلوا أهم الفاعلين :

• وصلات مسجلة يوميا من طرف الأطفال حول مواضيع مختلفة (إيكولوجيا، فن المسرح...) ؛
• ماستر شاف للصغار، يتبارى فيها الأطفال في مجال الطبخ ؛
• مباريات في الرسم، الإنشاد والحساب...

ومن أجل تحفيز الشباب في مختلف هذه الأنشطة، كانت الجمعية تقدم جوائز للفائزين. وتظهر بعض المرئيات المقدمة هنا تنوع العمليات المخصصة للشباب، التي نظمتها جمعية الطفولة الشعبية.

بشكل عام، إن قطاع الثقافة بجهة الشرق، ورغم كونه تضرر من الوباء، فقد استطاع بسرعة أن

يتكيف ويحيى، وخاصة باتجاه الأطفال والشباب، بفضل التعبئة الجدية والنشطة لجمعيات الشباب التي أبانت عن خيال وحيوية كبيرين.

العدالة في زمن المحاكم الرقمية

تمت معالجة أزيد من 6 000 ملف بدون مشاكل إلى غاية منتصف شتنبر، بعد أربع أشهر ونصف من الممارسة. ويبدو أن المحاكم التي استعملت مساطر الحكم الجديدة استطاعت أن تقوم بعمل جيد مع احترام التدابير الصحية الملائمة للقواعد الحالية للصحة العمومية وكذا مع قواعد الإدارة الجيدة للعدالة : عدالة مبسطة، ناجعة، سريعة وشفافة.

على غرار المحاكم الابتدائية الأخرى ومحاكم الاستئناف للمملكة، اعتمدت محاكم جهة الشرق النهج الرقمي تطبيقا للبروتوكول الصحي الذي أقرته السلطات. وقد كان الأمر يتعلق كذلك بالتناغم مع الأحكام عن بعد التي تؤمنها برمجيات طورتها وزارة العدل وصادقت عليها المديرية العامة لسلامة أنظمة المعلومات.

منذ انطلاق عمليات «دعاوى وأحكام عن بعد» يوم 27 أبريل الأخير بالمحكمة الابتدائية لوجدة، تزودت محاكم جهة الشرق بوسائل تقنية ولوجيستية لإنجاح هذا التحول الرقمي، الذي يعتبر الأول من نوعه في تاريخ العدالة المغربية.

في المجموع، تمت معالجة 6 027 ملف في الفترة الممتدة بين 27 أبريل و11 شتنبر 2020 بمحكمة الاستئناف لوجدة ومن طرف خمس محاكم أخرى للجهة، بوجدة، بركان، تاوريرت، كرسيف وبوعرفة (300 ملف في المتوسط في الأسبوع دون اعتبار الملفات التي أنجزت بالناظور والدريوش).

وقد أصبحت بذلك المحاكمات عن بعد حجر الزاوية للتباعد القانوني المرقمن. كما أن اللجوء إلى تقنية المؤتمرات عبر الڤيديو يسهل مهمة مختلف المتدخلين ويستفيد منه المعتقلون الذين كانوا سيحاكمون حضوريا. وقد استفاد العديد من هؤلاء من المسطرة وأطلق سراحهم عوض انتظار الحكم الحضوري، كما أوضحت ذلك محكمة الاستئناف بوجدة، مضيفة بأن تطبيق هذه المسطرة يتطلب، في البداية، معالجة الملفات من طرف لجنة ثلاثية مكونة من نقباء المحامين، ومن وكلاء الملك ومن رئيس المحكمة في كل إقليم.

هكذا، فإن القاضي يمكنه أن يستنطق المتهمين ويستمع للشهود عن بعد. إلا أن بعض الملفات التي تحتاج إلى حضور جسدي للمحامين والشهود والمرافعات، لا تعالج بهذا الشكل.

تأتي رقمنة الإدارة القانونية في أوانها لتخفف من جهة أخرى العبء على المندوبية العامة لإدارة السجون وإعادة الإدماج، التي تمنع نقل المعتقلين نحو مختلف المحاكم للحد من كل انتشار محتمل للڤيروس.

ويحتاج هذا الأمر إلى تنسيق حول كيفية إقامة الجلسات عن بعد مع قطاع العدل من أجل تجنب كل إصابة للسجناء، وموظفي المؤسسات السجنية وأفراد الشرطة المكلفين بنقل المعتقلين في مركبات الشرطة.

يعتبر هذا التحديث الرقمي للإدارة القانونية والسجنية اختيارا استراتيجيا تنتج عنه النجاعة المرغوبة. كما أنه يضمن عدالة مبسطة، فعالة، سريعة وشفافة، ويضمن معالجة مرنة للقضايا القانونية بالنسبة للمهنيين والمتقاضين.

من أجل تجسيد هذه المقاربة وتأمين أفضل معالجة للملفات، فإن العدالة تشتغل عبر ثلاث تطبيقات عملية.
يتعلق التطبيق الأول بتسيير سجلات الاعتقال المؤقت، مع تحيين مساطر الاعتقال المؤقت للادعاء العام.

ويهم التطبيق الثاني تتبع تنفيذ الأحكام الصادرة ضد شركات التأمين.

أما التطبيق الثالث، فيهم وضع مكتبة للنصوص القانونية، وللمعاهدات الدولية التي صادقت عليها المملكة، مع تقليص كبير في استهلاك الورق في إطار مقاربة تحترم البيئة. وفي الوضع الحالي، يبدو أن التدابير المتخذة قوبلت بارتياح كبير.

فيروس كورونا : أزمة الحي

جليل بناني
طبيب نفسي ومحلل نفساني وكاتب

يُعرف الكاتب بنظرته المدققة والمتميزة للعالم الذي يحيط به. وهو ينكب دون كلل على الأوجه الجديدة للمجتمع المغربي، بما فيها تلك المتعلقة بالمغاربة المقيمين بالخارج. وبسبب قربه من الأوساط الفنية، فقد شارك في المعارض المغاربية للكتاب بوجدة. كما أن له علاقات تعاون نشيطة مع مؤسسات جامعية أجنبية. وهو في هذا المقال يعطينا قراءة مميزة حول الوباء، وتداعياته على المجتمع ومكوناته.

متى سيمكننا أن نقول : «في يوم من *الأيام كانت هناك كورونا*» ؟ في اللحظة التي نكتب فيها هذه السطور، لا زلنا نواجه مجهولا كبيرا. فالوعود والاعتقادات وأمل الخروج من الأزمة، بعد ثلاثة أشهر من الحجر، لم تكن في الموعد. والاعتقاد بأن هذه الأزمة كانت عابرة تنم عن قصر نظر كبير. فالوباء حط ركابه لفترة طويلة.

فكيف سيكون مستقبل حياتنا الاجتماعية، وارتباطاتنا وأنشطتنا ؟

ولماذا تصبح الكوارث الكبرى التي تصيب الإنسانية نسيا منسيا ؟

الأزمة المرتقبة وغير المنتظرة مع ذلك

لقد كان هناك الطاعون، الجدري، الأنفلونزا الاسبانية، داء السيدا، الكوليرا وإيبولا... لقد أودت أنفلونزا هونكونغ بحياة مليون شخص في العالم بين 1968 و1969. وعرف المغرب أوبئة كبيرة في القرنين الخامس عشر والسادس عشر أزهقت أرواح جزء كبير من السكان.

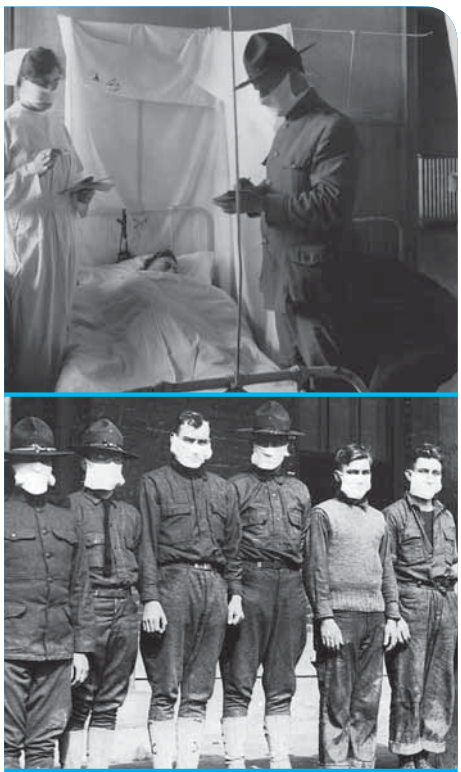

1918، الأطباء العسكريون الأمريكيون لمدينة نيو يورك يضعون أقنعة لمكافحة الأنفلونزا الاسبانية

في هذا الوقت، وفي ظل غياب معطيات علمية، فإن الوباء كان يعتبر عقوبة إلهية. أما اليوم، فرجال الدين يتعاملون مع معطيات العلم مع التماس عون السماء لمواجهة هذا المرض. ويعتبر النسيان في الغالب ضرورة بالنسبة للإنسان للاستمرار في الحياة، حتى لا يقاسي العذاب باستمرار. وفي نفس الوقت، من اللازم أن نستحضر التاريخ. فلا يمكن التفكير في المستقبل دون الماضي والحاضر.

لقد بين لنا وباء كوفيد-19 كيف يتقدم الباحثون. فالعلم لا يحمل حقائق مطلقة، ونظرياته تتغير مع الاكتشافات الجديدة. وظهر بوضوح بأن البحث ينبغي أن يكون بدون تردد متعدد التخصصات. وأبانت التحاليل الوبائية، الأنتروبولوجية، الاقتصادية والسياسية، بأن الأزمة كانت حتمية. ولكن لا أحد كان يعرف توقيت انطلاقها.

يمكننا القول بأن الوباء كان ضمن المستبعد وغير المنتظر. لم تكن المجتمعات على استعداد لمواجهته، رغم أنها ساهمت في اختلال توازن الكوكب.

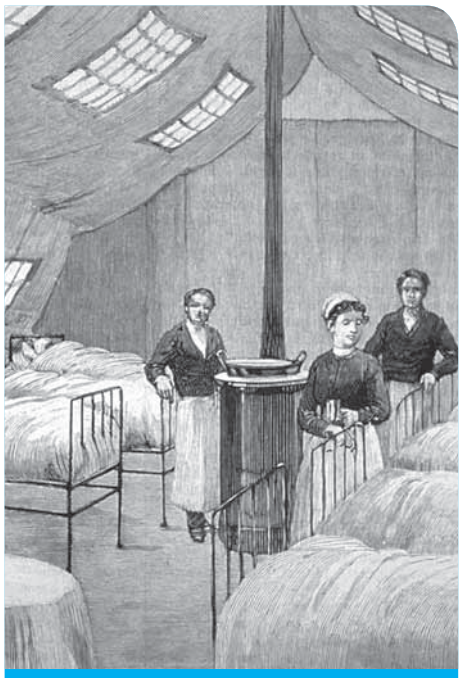

1889، مستشفى ميداني تحت الخيام بباريس لمكافحة الأنفلونزا الأسيوية

كانت السياسات الصحية، الكوارث البيئية والتسابق نحو النيوليبرالية، دون شك، أسباب اندلاع هذه الأزمة. ففي مؤلف حديث، بعنوان «وإذا كان الانهيار قد حصل بالفعل»، يُظهر المحلل النفساني رولان كوري بأن كل مكونات الانهيار كانت حاضرة : التحولات المناخية، السباق نحو المردودية، الاختلالات الاجتماعية، والمتطلبات المتزايدة للإنتاجية والنفعية، إضافة إلى الفوارق الاجتماعية والمساس بالكرامة الإنسانية. وقد كانت هذه الأزمة كاشفة لهذه الظواهر.

وقد أبانت البنيات الصحية مكامن ضعفها، وانهار الاقتصاد، وتأثرت الروابط الاجتماعية بشدة. وقد أظهر علماء الأنتروبولوجيا بأن الڤيروسات موجودة في أجسادنا وبالطبيعة بالمليارات، وأنها ليست كلها خطيرة وبعضها يساعد في محاربة البكتيريات، بل تستعمل حتى في البحث الأساسي.

لقد غزى الإنسان المجالات الطبيعية مما قلص مجالات الكائنات الحية الأخرى. واقترب الحيوان من الإنسان ! والإنسان ليس المخلوق الوحيد على وجه الأرض. وعلينا أن نستوعب مفهوم الحي بمعناه الواسع. فالمجتمع مكون من مجموعة من الكائنات التي تتفاعل مع بعضها. كان لويس باستور يقول : «*الجرثومة هي لا شيء، والميدان هو كل شيء*». إن علاقتنا مع الحي في أزمة. ولكون الإنسان لم يستبق الأسباب، فإن السباق اليوم هو حول علاج مفقود ولقاح محتمل.

ما أظهرته لنا الأزمة

ظهرت أمراض جديدة وتفاقمت الأمراض التي كانت موجودة قبل الأزمة. وعلى المستوى النفسي، سيطر القلق والأرق والكآبة والاضطرابات النفسية أخرى على الانشغالات المتعلقة بالصحة. وقد بلغ الوعي بأهمية الصحة النفسية مستوى دعا الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو ڤوتيريش إلى إعطاء المزيد من الوسائل لهذا القطاع، مؤكدا بأن «*ڤيروس كوڤيد-19 لا يهاجم فقط صحتنا الجسدية، بل يزيد أيضا من المعاناة النفسية*»، ومذكرا بـ «*عقود الإهمال وضعف الاستثمار في خدمات الصحة النفسية*».

وهكذا دعت الأمم المتحدة الحكومات إلى الاستثمار بدون تأخير في هذا الميدان الذي ظل لمدة طويلة ضعيف التمويل.

لقد أنتج التباعد الاجتماعي نتائج متناقضة : حيث أدى إلى تقاربات عاطفية، وإلى تضامنات ولكن أيضا إلى آلام وانفصالات اجتماعية. ومع استمراره، فإن العزلة يمكن أن تؤدي إلى فقدان الاتصال العلائقي والنظرة العطوفة والحضور الحسي. وقد غير التحول المجالي علاقتنا بالوقت. فهناك زمن ذاتي وداخلي وزمن موضوعي وهو زمن الساعة أو التوقيت. وقد يبدو لنا أن الوقت يتوقف، طويلا أو قصيرا، حسب انشغالاتنا والوضعية التي نعيشها.

إن شعورنا بالوقت مرتبط بشكل وثيق بالأحاسيس التي تزيد من فزع القلقين الذين يستشعرون الأوضاع المهددة كأنها الأطول. والملل قد يكون هو أيضا مصدر رعب كبير. فالإنسان لا يمكنه أن يعيش بشكل طبيعي في الحجر. فهو «*حيوان اجتماعي*» كما يقول أرسطو. فبالنسبة للفيلسوف، هذا يعني أن الإنسان يعيش وسط أمثاله في مدينة تخضع لقوانين. فالحجر هو قرار للدولة، وعلى الحكام أن يحافظوا على حياة وسلامة المواطنين.

يتواصل إتلاف الغابات المكثف بالعالم، هنا غابة الأمازون بالبرازيل

الإنسان ليس وحده الذي يعيش اجتماعيا، فردود أفعاله ومحاكاته تشبه ردود فعل ومحاكاة الحيوان، لكنه يتوفر على حس اجتماعي وعلاقات مع أمثاله أكثر تطورا. ومما يميز الإنسان عن الحيوان، هو اللغة أو الكلام. فبفضل الكلام، يمكننا التواصل والتعبير وأن نكون حاضرين في العالم. ونحن نحتاج للآخرين لنعرف أنفسنا، ولنجتمع ولنتقاسم. إنه السبب الذي جعل من الحجر، الذي نتحمله قسرا، مصدر عزلة وألم ووحدة وافتراق عن الأقرباء. فالأطفال على غرار الكبار بحاجة إلى كل ما هو اجتماعي.

التفكير في علاقة جديدة مع الثقافة

أبانت لنا الأزمة أشياء أساسية. ومن بين هذه الأشياء، أود التركيز على الدور الرئيسي للثقافة. إنها في قلب الرابط الاجتماعي. وهي مصدر ثروة، وتغني ذاكرة الحضارات وتحفظ تاريخ الشعوب والتراث المادي واللامادي للأقطار. والثقافة تقاسم بين الأفراد. وهي تعطي معنى، ومواقع مهيكلة لكل واحد ونماذج جيدة أو سيئة للحياة : وهكذا، تم تقييم وإدماج النظام والفوضى الأخلاقيين بصورة مختلفة حسب الحضارات والأزمنة.

فكل فرد، منضبط أو هامشي، مبدع، عصبي أو هادئ، يغترف من الرصيد المشترك الإثنو- ثقافي، أدوات تَمَثُّل خيالية وتعبيرية لينطق بذاتيته بشكل تعرفه المجموعة الثقافية. وهو ما نشير إليه بـ «الرابط الاجتماعي».

تعطي الثقافة إطارا للفرد من أجل التكيف مع الغير، وتمكينه من إغناء المجموعة أو بالعكس طرده منها. إنه كل المعنى الذي ينبغي إعطاءه للعيش المشترك، التي تُظهر الكوارث الكبرى ضرورته المستعجلة. فما هو الرابط الاجتماعي ؟

من الوجهة القانونية، منح اللقب العائلي هو الذي يطبع التبعية بين النسب والهوية الاجتماعية. وسوسيولوجيا، فإن الرابط الاجتماعي يشير إلى مجموع العلاقات التي تربط الأفراد المنتمين لنفس المجموعة الاجتماعية والتي تسن قواعد. بواسطة كلود ليڤي ستروس، اكتشفت الأنتروبولوجيا في منع السِفاح طريقة العمل التي بنت الانتقال بين نظامين، وقائع الطبيعة ووقائع الثقافة. أن يمتنع عن الولوج إلى النساء في مجموعته، هي أن يفرض على نفسه الاقتران بنساء من مجموعة غريبة عن المجموعة.

فرح وسعادة ومآسي التباعد الاجتماعي

هذا التبادل هو وحده يسمح بربط علاقة مستدامة بين مجموعات بشرية كانت ستبقى محكومة بالعزلة والنزاع من دون هذه العلاقة. من وجهة التحليل النفسي، فإن الموضوع نتاج تاريخ إدراجه في نظام القانون واللغة، وهو حقل رمزي يتجاوز الأفراد، وحيث الأب والأم يحتلان أماكن محددة. ويميز التحليل النفسي بين اشتغال يعود للبنيات حيث يجد كل واحد نفسه مأخوذا، وهو يهتم بـ «ما قبل التاريخ»، بالتاريخ الأصل، المؤسس. وما قبل التاريخ الاجتماعي الأصل هذا، هو تاريخ البداية الذي أسهب فيه فرويد في كتابه «الطوطم والتابو» والذي يعالج الانتقال من الحشد البدائي - حالة حيوانية بحتة - إلى الوسط الاجتماعي. علينا أن نعيد التفكير في أصناف تفكيرنا وبموروثاتنا الرمزية. علينا أن نعيد خلق حياتنا اليومية، ونكون مبتكرين ومبدعين.

ينبغي محاربة الجهل، الأمية، الظلامية وتجنب الخلط بين العلم والمعتقدات. وكل ذلك يفرض منح المزيد من المساحة للثقافة. بالفعل، صحة المواطنين وحاجياتهم الاقتصادية ضرورية، ولكن الثقافة ليست شيئا لا جدوى منه. إنها تساهم في رفع درجة الوعي، وفي التربية، وفي تنمية المعارف. وهي نفسها مصدر للإنتاجية. وأذكر بعض الأوضاع لدعم هذه الفكرة.

رغم كل شيء، الثقافة بطريقة أخرى

هناك أولا كل الأهمية التي ينبغي تخصيصها لمسألة التراث. وقد بذل مجهود كبير لصيانة المعالم التاريخية.

يعي المجتمع المدني أكثر فأكثر الأهمية التي ينبغي أن تولى لهذه الصفحات من تاريخنا. واتضح ذلك بواسطة مثال حديث. في إطار هذه الصيانة، تم للأسف تدمير المقهى الموريسكي بقصبة الأوداية بالرباط ليعاد تشييده «في شكله الأصلي» كما تم التأكيد على ذلك.

وهذا التدمير مؤسف للغاية. فحينما يتم محو آثار التاريخ، فليس بوسع أي بناء جديد أن يتم «بالشكل الأصلي». لحسن الحظ، جاءت ردة فعل المواطنين قوية للتنديد بهذا الفعل. وتبعا لذلك، تم الاتفاق على أن القرارات ستتم من الآن فصاعدا بالتشاور مع الفاعلين في المجتمع المدني.

لنحيي بالمناسبة النداء المتكرر لتشجيع السياحة الداخلية في هذه الفترة التي تشهد تقييدا للسفر خارج البلاد. وستفتح هذه المبادرة بالتأكيد الطريق لتعرف أكبر على الوطن. خلال الحجر تم إغلاق المكتبات، وقد ارتفعت عدة أصوات ضد هذا القرار.

وهذا القرار المبرر تماما حين لا يمكن تأمين تباعد جسدي، قد يسمح بحلول أخرى. وهكذا، هناك إمكانية وضع مكتبات متنقلة، في الهواء الطلق، قد تبث روحا جديدة في الكتاب والقراءة. وأذكر هنا كنموذج العملية التي قامت بها مكتبة جميلة حسون، من أجل جعل الكتاب في متناول أكبر عدد، فقد أعطت منذ عدة سنوات الانطلاقة لـ «قافلة الكتاب» وهو فضاء ثقافي يجوب مناطق المملكة من أقصاها إلى أدناها لتقديم لحظات من الاكتشاف والتقاسم عبر نقاشات وموائد مستديرة.

في خضم أزمة كوفيد-19 ولأول مرة منذ أن بدأت السينما، اضطرت قاعات الفن السابع إلى غلق أبوابها. في مواجهة ذلك، هناك مبادرة قديمة تعود إلى ستينات القرن الماضي، تستحق أن ينفض عنها غبار النسيان : يتعلق الأمر بسينما الهواء الطلق بموقف كبير للسيارات. ويكون بوسع عشاق السينما أن يتوقفوا ويتمتعوا بأشرطة ومختلف التنشيطات عبر شاشة عملاقة. فإقامة مهرجان متنقل وتضامني، بإمكانه أن يساعد موزعي الأفلام في وضعية صعبة ومن استدامة التواصل مع الجمهور. وقد كان من الآثار البارزة لهذه الأزمة النمو الهائل للرقمي.

وهكذا، فإن النقل الفوري للمعلومات والمبادلات (بواسطة الهاتف الذكي، سكايب، زوم، الرسائل الالكترونية، الرسائل الصوتية، والفيديوهات...) يمكننا من أن نكون قريبين مع بُعدنا.

نحن على مسافة بعيدة عن الماضي البعيد حينما كان الناس والبلدان منقطعين عن بعضهم.

والوضع الصحي الحالي يرغمنا على استبدال قاعات المؤتمرات بمؤتمرات عن بعد، وإلى تنظيم منتديات وحتى معارض افتراضية بفضل منصات رقمية. إلا أننا لن ننسى بأنه في مختلف الحالات يظل الرقمي حلا مؤقتا لا يحل محل المبادلات بحضور جسدي، فرقمنة العلاقات الاجتماعية هي غير كافية وقد تصبح مَرَضية.

وفي الأخير، فقد سجلنا تضاعفا في الأخبار الزائفة، مما يستدعي مراجعة المعلومات من أجل النجاح في الحصول على قدرة للتفكير والتمييز بين الصحيح والخطأ. وهكذا يمكن الاحتفاظ بالأفضل في الثورة الرقمية.

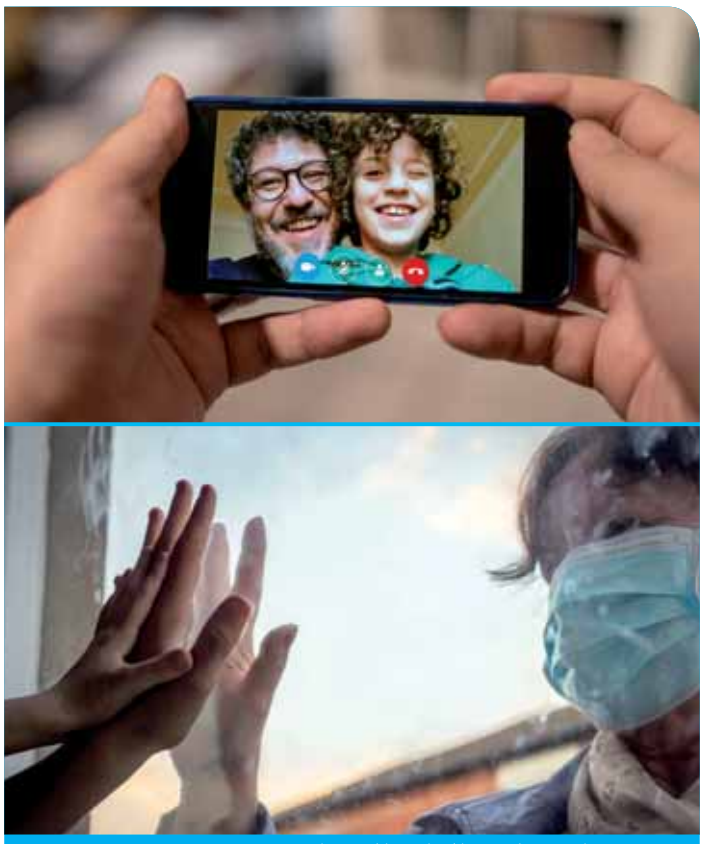

فرح وسعادة ومآسي التباعد الاجتماعي

الثقافة من أجل المحافظة على الحياة

نعلم اليوم أنه علينا أن نعيش مع كوفيد-19 لوقت غير معروف الآن. فينبغي إذا تدبير المخاطر المرتبطة بالخصوص بالقطاعات السياسية، الاقتصادية والصحية. وتعتبر الصحة الميدان الذي ينبغي لكل فرد أن يتعلم فيه كيف يقي نفسه ويقي الآخرين.

ينبغي إذا أن يكون المواطن فاعلا بالنسبة لحمايته، مما يفترض عملا يوميا. وتعد التربية، البيداغوجيا والثقافة عناصر أساسية لتنمية المسؤولية والوعي لدى المواطنين. وقد استعملت في بداية هذا الوباء كلمة «حرب» من طرف بعض الساسة، على الصعيد الدولي.

وقد كان الهدف هو تنبيه السكان بالطابع الاستعجالي للوضعية من أجل إنقاذ الأرواح.

وقد تم الحديث عن «العدو الخفي»، الذي يبحث عن فريسته. وقد استمعت إلى المخاوف التي رافقت هذه الفترة. وهكذا، فإن استعارة «الحرب» تذكرنا بأنه أمام الموت، يكون للأفراد ردود فعل للنجاة والبقاء، بفضل رغبة الحياة التي تقابل رغبة الموت.

«لماذا الحرب ؟»

إنه سؤال قديم، ما زال راهنا، كان قد طُرح في نقاش بين عظيمين خلال القرن الماضي. في سنة 1931، كانت عصبة الأمم تبحث عن تطوير التبادل بين المثقفين لفائدة السلام. وقد أشار أينشتاين بأن الولايات المتحدة الأمريكية تحدث سلطة قانونية من أجل تهدئة النزاعات وفرض القوانين على الأفراد. وذكر فرويد بأنه يوجد في نفسية الإنسان مجموعتين من الغرائز : غرائز التدمير، العنف، غرائز الحب والبقاء. ويؤدي ذلك إلى لعبة بين الداخلي والخارجي، توازن موجه نحو الداخلي أو الخارجي.

في «الحياة المتحضرة»، غرائز البقاء تنتصر على غرائز التدمير التي تحدث العدوانية والعنف. وعلى التربية والثقافة أن تلعب دورها للتحكم في هذه الرغبات في اتجاه صيانة الحياة، والاهتمام بأنفسنا وبالآخرين.

الابتكارات : مفاخر وطنية تستحق عناية خاصة

علي خروبي، المراسل الجهوي
ليومية L'Economiste بجهة الشرق

تقاس قوة الأمم أيضا بمدى رد فعلها وسلوكاتها في مواجهة الكوارث الطبيعية والحروب والأوبئة والأزمات الأخرى. وتقاس هذه القوة بالقدرة على النهوض من جديد، والإبتكار، وكذا على استعدادها لضخ دماء جديدة في نموذجها التنموي. لقد تسبب تفشي وباء كورونا إلى حد الساعة في 850 000 وفاة عبر العالم وإصابة أزيد من 20 مليون شخص. كما أنه ذكر الجميع بأن الأهم يكمن في ضرورة تجاوز العقبات، مهما كانت صعوبتها، وفي الابتكار والإبداع أكثر من أجل ذلك.

الأعمال الفنية والاختراعات الطبية في مواجهة كوفيد

اتخذ المسؤولون المغاربة على الصعيد الوطني والمحلي القرارات التي كان ينبغي اتخاذها بتبني بروتوكول طبي ملائم وبإعطاء الانطلاقة لمجموعة من الإجراءات الاجتماعية والاقتصادية الكبيرة. وبشكل موازٍ، رد جامعيون وباحثون وأرباب صناعة ومخترعون شباب بشكل إيجابي بوضع كل ذكائهم في خدمة هذه الوضعية الاستثنائية.

ويعود سبق التعبئة للشباب الذين أكدوا أنهم أكبر ثروة للبلاد. لقد أثبتوا ذلك بتزيين أحيائهم، وتحويل الأزقة المهجورة برسم لوحات معبرة التي تحكي انتظاراتهم وتطلعاتهم. كما أثبتوا ذلك أيضا بإنجاز اختراعات لتغذية الأمل في وطن أفضل ومخلص من الوباء.

وهكذا تجسدت إمكانات الابتكار العلمية والتكنولوجية الغير متوقعة بخلق كمامات ذكية، وآلات تنفس اصطناعية، وأبواب مطهرة، وأقنعة وتطبيقات نوعية وأدوات أخرى. وقد أنجز كل هذه الاختراعات جامعيون شباب وحتى تلاميذ من الصف الابتدائي أحيانا.

بالرغم من هذه المبادرات المتميزة جدا، فلم تنل الاعتراف الذي تستحقه بل تم في بعض الأحيان تجاهلها من طرف المسؤولين الذين لم يتفاعلوا مع طلباتها. بل الأدهى، أن بعض طلبات الدعم والمواكبة من أجل تنفيذ مشاريع، وخاصة في مجال المعدات الطبية، لم تحصل على أي رد.

العشرات من الاختراعات تنتظر المواكبة والاعتراف

إنها حالة الشقيقين أبو المهيمن الرقاص (خريج مدرسة «أكت سكول» التابعة لمجموعة المكتب الشريف للفوسفاط) وصلاح الدين الرقاص، من اليوسفية. فقد صمموا وصنعوا موزعا آليا للسوائل المطهرة، بأثمان منخفضة، يتوفر على نظام للأشعة تحت الحمراء، يُستعمل في مداخل المستشفيات، المصانع، الإدارات وأماكن عمومية أخرى. أما تميزه فهو أنه يعقم الأيدي دون لمس الآلة. ويواجه الإخوان الرقاص نقصا في الوسائل وعدم توفر بعض المواد وقطع الغيار الإلكترونية. وهذه ليست الحالة الوحيدة.

هناك حالة الشاب عصام جرودي، الذي صمم خلال فترة الحجر مطهرا للفضاءات والأدوات يستعمل الأوزون، والذي يبحث بدون فائدة على تمويل. وهذه الآلة، القادرة على التعقيم ضد الباكتيريا، المكروبات، الفطريات والتعفنات الفطرية والعث، قد سبقت تجربتها في وحدة صناعية بالمحمدية ووحدة فلاحية بأكادير. وهذا الشاب حاصل على باكالوريا في الإلكترونيك وعلى دبلوم هندسة ويتوفر على مكتب دراسات ويسعى إلى استغلال معارفه لتنمية تقنيات وآلات أخرى. وهو حاليا يشتغل في تصميم وإنجاز معدات لفائدة القطاع الفلاحي. كما أن له رصيد من الاختراعات الأخرى : نظام لمحاربة تكون الكلس وضد الطحالب التي تخنق المصفاة وتتسبب في تكون البكتيريا. وتلخيصا، كل المشاكل التي تحول أو تعرقل نمو ومردودية الزراعات.

عصام جرودي،
أحد المنسيين من آليات الدعم،
يتمتع بقدرات إبداعية كبيرة

محمد بلال حموتي
يواجه مشكلا واحدا
هو قلة الوسائل

في نفس المجال، فقد صمم نظاما يمنع توالد الطحالب بالأحواض والصهاريج الطبيعية أو الاصطناعية المخصصة للري.

ولا يخص الإبداع فئة عمرية محددة. وهذا ما يؤكده الشاب بلال حموتي، تلميذ السادسة ثانوي الذي يحصل على أعلى النقاط في الصف (9,28/10). هذا الطفل الوجدي هو بكل بساطة أصغر مخترع لفترة الحجر الصحي. فهو صاحب اختراعين رئيسيين في مواجهة انتشار فيروس كورونا وعمره لا يتعدى 11 سنة :

- كمامة ذكية تغطي الوجه بصورة أوتوماتيكية وتشتغل عبر كشف الرطوبة، أو الرزاز، أو القطيرات أو الجزيئات المنبعثة عند السعال، أو العطس أو حديث يتم دون حماية ؛
- نظارات إلكترونية تنبه عندما لا يحترم المتحدثون أو ببساطة الجيران مسافة الأمان، مما قد يتسبب في انتقال العدوى.

كما أنجز يدا متحركة خفيفة جدا تمكن الأشخاص المعاقين من استعادة جزء هام من حركية اليد، وكذا سلة قمامة ذكية تمتص الأزبال. وهناك عائق وحيد للمضي أبعد في الاختراعات : إنه ضعف الوسائل !

حماية الحياة وصيانتها سلوك إيماني

الدكتور مصطفى بنحمزة
رئيس المجلس العلمي لوجدة

الكاتب أستاذ جامعي، خريج دار الحديث الحسنية، متخصص في الدراسات الإسلامية، عضو في المجلس العلمي الأعلى، وعضو المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، ورئيس المجلس العلمي لجهة الشرق. وهو يذكرنا في هذا المقال بالتعاليم الإسلامية في مجال الصحة.

لا يسعنا فهم الأهمية التي يوليها الإسلام للحفاظ على الصحة البشرية دون أن نتطرق إلى الأمر بصورة شمولية وفي إطار تفاعله مع مختلف المكونات الاجتماعية. إن صيانة الحياة البشرية ليست فقط المسؤولية الطبية لمهنة : إنها أيضا رد فعل غريزي للمحافظة على أثمن شيء منحه الله لنا.

تتوافق هذه القناعة الراسخة مع الواجب والمسؤولية اتجاه أنفسنا واتجاه الآخرين. ألا يقال بأن المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف ؟ والقوة ينبغي أن نفهمها بمعناها الواسع : الجسدي والأدبي والروحي.

العناية بالصحة في قلب اهتمامات الإسلام

من أجل تفصيل الحيثيات، من اللازم أن نوضح بأن الإسلام جعل من الإنسان حجر الزاوية لكل مقاربة حكيمة. فالإنسان في قلب تعاليم الإسلام كما أنه العنصر الأساسي للقناعات ذات البعد الإنساني.

فبدون إنسان سليم وحكيم بإمكانه أن يفكك، ويفهم ويفسر التغيرات التي تمس المعاش اليومي لكل إنسان فان، فمن الصعب تقاسم ممارسات تتطلب تبصرا وبعد نظر.

فالإنسان بالتالي كل لا ينفصل : مادة تتعرض لتقلبات الحياة وروح تسبح في الذكاء التفسيري للأشياء : إنه اختيار ومصير.

لذا، فإن وقاية الجسم هي حجر الزاوية لكل أساس يرفع الإنسان إلى مستوى التفسير الدقيق للتعليمات الدينية. فحماية الصحة هي أولوية الأولويات في الإسلام. والعقل السليم في الجسم السليم يجد روحه في مقاربة روحية تقدس الإنسان وتشجعه على زرع القوة الروحية والقوة الجسدية من أجل امتلاك جسم وروح سليمين، فضلا على تجاوز الذات، واحترام الانتظارات الذاتية وانتظارات الآخرين والإنصات إليها.

في حالة تداخل في ما بين ما هو ديني وما هو صحي، فإن الإسلام، يختار، دون تردد، المحافظة على الصحة.

فيرخص للمريض أن لا يصوم في حالة عجز، أو عياء أو وهن، وبأن يصلي جالسا أو مستلقيا في حالة مرض أو إعاقة.

نبينا محمد كنبراس

لم يتوان نبينا محمد عليه الصلاة والسلام على تشجيع التطبيب واللجوء إلى العلاجات الطبية، وعلى إدانة الممارسات السحرية والشعوذة.

وقد كان يردد عبارة «*لكل داء دواء*». وقد ألح على أحد أصحابه الذي كان يشكو من علة في القلب، بأن يزور الحارث بن كلدة، وهو طبيب مسيحي مشهور في تلك الفترة بدرايته بالطب.

كان النبي يلجأ للعلاج لكل طارئة كما أخبرت زوجته عائشة رضي الله عنها التي أسهبت في تفصيل مدى إلحاح الرسول عليه الصلاة والسلام على تقاسم المعارف الطبية مع الأشخاص الذين يستشيرونه. كما ذكرت بأن أطباقهما كانت متبلة بالأعشاب الطبية.

وقد شجع مختلف الخلفاء المؤمنين على دراسة الطب واحترام العلوم الطبية.

أخبر بذلك مؤلَّف مرجعي للطبيب المؤرخ إبن أبي أصيبعة، «دروس في الطب»، الشهير بتراجمه للأطباء الذين طبعوا عصرهم. كما أنه ألف سجلا للملاحظات الطبية.
لقد كان الطب يدرس بالمغرب بالكليات الدينية، كما يشهد على ذلك العدد الكبير من المخطوطات الطبية المحفوظة بالمكتبة الحسنية والمكتبة الصبيحية بسلا. كما توجد بها مؤلفات أخرى حول الأعشاب الطبية والعلاجات الملائمة، وقد قام باحثون كبار بدراستها. وقد أصدر المستشرق الفرنسي لوسيان لوكلير، الطبيب العسكري والمترجم والمؤرخ، منذ 1876، كتابا حول موضوع، «تاريخ الطب العربي»، وقد أعادت طبعه مؤخرا وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

خلافا للعلوم الطبية، فإن «الرقية» لم توجد قط كبديل طبي. إنها نتيجة مصادفات ليست لها أية علاقة بالعلم. فالرقية دعاء وتوسل يصاحب العمل الطبي. وهي لا تحل محله. إنها دعم نفسي، لا أقل ولا أكثر. والدليل هو أن كتب الحديث تخصص فصلا للطب وليس للشعوذة. فالرقية هي روح التخلف والجهل حينما تنحرف عن غايتها.

الإسلام والأمراض المعدية

بالنسبة للأوبئة، حذر سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام باستمرار من الأمراض المعدية وأكد على التدابير الاحترازية. وقد كان رسول الله صارما بمنع صحابته من السفر نحو المدن الموبوءة. كما كان يمنع على ساكنة المناطق المصابة من مغادرة البيوت حتى لا تنتشر المرض. وقد كان يوصيهم بالحجر الصحي ! وفي حالة الوفاة، كان الضحايا يُعتبرون شهداء لأنهم، بعزلتهم، ينقذون حياة الآخرين من موت محقق. ويذَكر النبي بهذا الخصوص بأن الأشخاص الذين يقضون جراء الطاعون هم شهداء، مما يضع ضحايا الأوبئة في نفس مرتبة صحابة الرسول والصالحين.

كما أن هناك سلوكات مثالية تشهد على العناية الممنوحة للمحافظة على الحياة. إنها الحالة التي رفض فيها الخليفة عمر بن الخطاب فتح إحدى المدن الموبوءة رغم أن جيوشه كانت الأقوى. وقد كان بإمكانه استغلال ضعف أعدائه لهزمهم. فلم يقم بذلك وأمر جنده بتأجيل المعركة، مرددا : «*لننقذ أنفسنا من مصير إلى مصير آخر لأن الجائحة قدر*». ورد على أحد أصحابه الذي لامه على خوفه من الوباء : «*الحذر ضروري في حالة الشك والحفاظ على الصحة واجب*».

وفي ما يخص السلوكات والتدابير الحاجزية، فقد كان الرسول يعطس تحت مرفقه أو في يديه كما كان يوصي أصحابه بذلك : نفس إجراءات الاحتراز والتباعد الاجتماعي التي نوصى بها اليوم. كما كان يشدد على أهمية النظافة.
وما الوضوء إلا الجزء الظاهر من تربية ترتكز على النظافة. وهو تواجه لا يمكن إغفاله في كل مقاربة أكاديمية حول أهمية النظافة في تكوين الكائن البشري.
فللإسلام علاقة وثيقة مع الماء بوصفه مادة مطهرة. فالمسلم الذي يستيقظ باكرا لأداة صلاة الفجر لا يخشى أبدا من الماء، مهما كان باردا. إضافة إلى ذلك، فإن من المفروض على المؤمن في الإسلام أن يغتسل لصلاة الجمعة، وبعد الجماع، وفي مختلف الأعياد الدينية، رغم شح الماء بالمناطق الصحراوية للجزيرة العربية.

باختصار، لنا توصيات بالنسبة للعلاجات، وأوامر للوقاية من الأمراض، وتوجيهات بالنسبة للنظافة. «*فروا من المجذوم كما تفرون من الأسد*» هي مقولة شائعة للتحذير من خطورة الحالة وليس من أجل تجاهل المريض. ويحكى أن الرسول أمسك بيد مجذوم ووضعها في طبقه ودعاه لمقاسمته الطعام، قائلا : «*كل، باسم الله. ثقة بالله وتوكلا عليه*»، لأن لكل داء علاج يحقق الشفاء.

على العلماء أن يطمئنوا لا أن يحلوا محل الأطباء

خلال فترات انتشار الأمراض المعدية، من مهام علماء الدين طمأنة الناس من أجل تجنب كل خلط والتباس، والانخراط في التدابير الاحترازية والتوعية بأهمية التعبئة حول توصيات موحدة.

فعلماء الدين في الإسلام لا يحلون محل الأطباء، بل بالعكس يساندون كل العمليات التي تحفظ وتنقذ الكائن البشري. وهذا الموقف يتقوى في فترة الشك والأزمات لأن الأوبئة تجر معها ويلات وأحزان. فالقرارات التي اتخذتها السلطات المختصة لقيت تأييد كل الأوساط والفئات الدينية بالمغرب بدون استثناء، لأن الحكمة بالمغرب كانت دائما بفضل الله تعلو على المغامرة واللامسؤولية.

لقد قمنا بإغلاق المساجد لأن التجمعات كيفما كانت هي مصدر عدوى وانتشار الڤيروس. فبالإمكان إقامة الصلوات الجماعية في المنازل بينما ضياع الأرواح أمر لا يعوض. هذا، مع اقتناع الجميع بأهمية المسجد بالنسبة لكل مؤمن، فهو أمر مركزي في الحياة اليومية.

من هنا تبرز ضرورة مضاعفة التدابير الوقائية والحملات التواصلية عبر كل الحوامل الممكنة للتهدئة والتفسير، ولإعطاء إجابات في هذه الفترات الصعبة، لأن المسجد ليس مجرد بناية، ولكن فضاء للحياة ومصدرا للتصرفات المواطنة.

تؤكد العديد من الآيات القرآنية وأحاديث الرسول أهمية المحافظة على الجسد، انطلاقا من اعتدال على مستوى التغذية إلى نظافة صحية وبدنية أفضل. والوضوء يشهد على انضباط مبني على النظافة. وهو ما يحث عليه الطب الحديث كرد فعل وقائي لمواجهة تفشي بعض الأمراض المعدية.

لكي نبقى دائما على اتصال...

بيار ماطيو
المدير المنتدب للمعهد الفرنسي لوجدة

يعتبر المعهد الفرنسي لوجدة قطبا أساسيا للتنشيط الثقافي بجهة الشرق. ويحكي الكاتب، المدير المنتدب للمعهد، هنا، المغامرة العجيبة للحجر التي جعلت مؤسسته تعيد ابتكار مهنها لكي تواصل إنجاز مهامها ولكي تبقى الصلة مع الجمهور كما مع الفنانين والمؤسسات الشريكة قائمة.

في سياق حالة الطوارئ الصحية ضمن هذا الاختبار غير المسبوق للحجر، كيف يمكن أن نستمر في أداء مهمتنا ؟ وكيف الارتقاء بالثقافة في إطار حوار مستمر ؟ كيف نعمل في تقاطع الميادين الفنية والمبادلات الفكرية والتجديد الثقافي والاجتماعي والتعاون اللغوي ؟ كيف ندعم تطوير اللغة الفرنسية وحركة الأعمال الفنية والفنانين والأفكار ؟ فبالنسبة لمؤسسة ينبني الجزء الهام منها على الانفتاح، التبادل والتقاسم، فإن الحجر بدا اختبارا صعبا ومتناقضا.

القصة المصورة في مواجهة الحجر

إن مهنتنا هي استقبال جمهور المتفرجين في حصصنا السينمائية، وتعليم الفرنسية للأطفال واليافعين والكبار، أو أن نقوم بذلك داخل المقاولات. ونحن نستقبل أيضا العديد من القراء في مكتبتنا التي تعتبر الأهم في جهة الشرق من حيث عدد المؤلفات بالفرنسية.

يأتي أطفال مدارس وجدة بفصول كاملة لحضور الأعمال التنشيطية أو للاستماع للحكايات بمكتبتنا. لقد أصابنا الحجز في صميم مهنتنا...

لقد كان لنا أيضا نشاط هام «خارج الجدران»، كالمعارض والعروض التي ننظمها بفضل المديرية الجهوية للثقافة، بالمسرح الكبير محمد السادس بوجدة أو بمعهد الموسيقى وفن الرقص بوجدة. وكان الجمهور يستجيب دائما بأعداد كبيرة وبحماسة.

ودون أن نستعرض مجموع أنشطتنا الخارجية، لنُشر إلى عملية تحمل رمزية كبيرة : «عبور المدارس». ويتعلق الأمر بمسار تربوي ولعبي رأى النور بمبادرة من الجمعية المغربية لمدرسي الفرنسية بوجدة ومعهدنا. والأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين لجهة الشرق ووكالة جهة الشرق هما شريكا هذه القافلة.

ويلتقي فريق هذه القافلة المتكونة من فنانين وعاملين بالمعهد الفرنسي للمغرب بوجدة وأعضاء من الجمعية المغربية لمدرسي الفرنسية،

الأطفال وآبائهم ومدرسيهم، من أجل تنظيم أنشطة ترفيهية وتربوية موجهة للتلاميذ المتمدرسين. وقد كنا نستعد لإعطاء الانطلاقة والاحتفال بالدورة العاشرة عبر شمال جهة الشرق.

خلال الحجر، اشتغل موظفو المعهد عن بعد، ولكن كان ينبغي المحافظة على الصلة مع جمهورنا. لقد أنتجنا إذا افتراضيا دروسا في الفرنسية وقمنا ببث برامج ثقافية وكذا حكايات للأطفال. كما انتشرت مؤتمرات بشبكاتنا الاجتماعية.

ولكن كان من المهم بالنسبة إلينا أن نشرك جمهورنا، ولذلك أعطينا الانطلاقة لمسابقة كبرى للقصص المصورة بشراكة مع وكالة جهة الشرق، تزامنا مع الاحتفاء بالفن التاسع بفرنسا في سنة 2000.

وهكذا جمعنا هيئة تحكيم مرموقة[1] واستفدنا من دعم هام لتقديم جوائز جميلة للفائزين : لوحة تخطيطية للفائز، الذي سيتم دعمه من قبل وكيل أدبي متخصص في القصص المصورة لكي يتم، لما لا، نشر عمله. وقد حققت المسابقة نجاحا حقيقيا من حيث المشاركة.

لقد مثلت القصص المصورة نبراسا لبرمجتنا الثقافية. ولهذه الغاية، تم خلال الحجر إنجاز قصة مصورة على شكل لوحة ضخمة في بهو المعهد الفرنسي، بمقر موقعنا في حي القدس.

ومن أجل تحقيق هذا المشروع الفني، اخترنا فنانين محليين. واشتغلنا إذا مع جمعية تزوري لوجدة. وتزوري تعني بالأمازيغية «الجميل» أو في سياقات أخرى «الفن». وتضم الجمعية متحمسين للجهة وترمي إلى تقريب الفن من الساكنة عبر الفن الحضري أو فن الشارع. وقد اكتسب هؤلاء الفنانون بفضل أعمالهم شهرة جيدة ومنحوا المدينة رونقا وبهاء. لقد دعوناهم إذا لإنجاز العمل الذي كنا نحلم به. وقد تمكن محمد العلمي ومحمد تاراحديد ومحمد أمين ناويا من جمعية تزوري من إنجاز العمل المنتظر باقتدار وتفوق.

كان مهما بالنسبة لنا المحافظة على التواصل مع الفنانين المحليين خلال فترة الحجر، والبحث عن مساهماتهم ودعمهم، لأن الكلمة والفن والثقافة عليها أن تستمر. وقد نظمنا بعد ذلك معرضا افتراضيا مباشرة على صفحتنا الرسمية على فيسبوك. وقد شرفنا السيد محمد امباركي، المدير العام لوكالة جهة الشرق بحضوره. كما قدم موسيقيون محليون اللمسة الموسيقية الضرورية.

وقد جندنا للمناسبة، بيقا لستات أحد أعضاء مجموعة سنيترا، وهي من بين المجموعات المعروفة والمحبوبة في الساحة الموسيقية المحلية.

وهؤلاء الموسيقيون الشباب، المزدادون كلهم بوجدة يشتهرون بالإيقاعات التقليدية، مثل الركّادة الشهيرة عبر المزج مع موسيقى الروك والريكّي والجاز وأيضا البلوز. وقد حقق المغني بقا لستات إنجازا رائعا على الخشبة والتي أدرجناها في معرض الرسم الافتراضي.

فاقت النتيجة كل تصوراتنا بأزيد من 1 500 مشاهدة، أي أكثر من سعة المسرح الكبير محمد السادس : لقد تجاوز الافتراضي ما كنا سنستقبله في عرض مباشر !

تنوع وتعدد الأنشطة في مواجهة كوفيد-19

كانت أنشطتنا خلال الحجر في النهاية مكثفة، والمفارقة هو أن العزل زاد في تماسك فريقنا. وكدليل على ذلك، فقد أصدرنا، منذ 2 أبريل، مقطعا يبعث فيه كل العاملين «بعض عبارات الحب» للجمهور (784 25 مشاهدة على فيسبوك). ولنذكر ببعض «الأنشطة المحجورة» مع/أو لجمهورنا :

- بث برمجة ثقافية رقمية بصفة جد منتظمة ؛
- نشر مجموعة من الاختيارات الأدبية المفضلة للجمهور احتفالا بمرور 10 سنوات على إنشاء نادي القراءة (موسمين، أي 18 حلقة) ؛
- معارضة للبرنامج الأدبي الفرنسي الكبير «المكتبة الكبرى»، تحت عنوان «الميدياتيك الكبرى» ؛
- إنجاز ونشر رقمي لرواية مصورة ؛
- كبسولات بيداغوجية، عرفت أولاها (15 دقيقة) نجاحا واضحا بـ 194 13 مشاهدة (732 9 بالنسبة للثانية) ؛
- تهيئة رواق في قاعتنا المتعددة الاستعمالات ؛
- مشاركة في «اللقلق الفصيح» ؛
- مشاركة أخرى في العملية الوطنية «قل لي عشر كلمات» ؛
- إنجاز مقطع «لماذا أريد العودة إلى المعهد الفرنسي»، بالتعاون مع طلبتنا (211 7 مشاهدة) ؛

• تسيير نادي القراءة بواسطة الندوات عن بعد ؛
• مواصلة مسابقتنا «لنا الكلمة ولكم الجملة !» للجمهور على الانترنيت.

أظهرت فترة الحجر التي فرضها الوباء عادات ثقافية جديدة. وقد مثلت فترة ملائمة للإبداع والابتكار ومصدر إلهام.

فوتوغرافي على الانترنيت – «رؤى متقاطعة عن وجدة» – أنجزها مصور محلي وشابة تقضي فترة الخدمة الاجتماعية عندنا. وقد تنقل عبره العديد من الزوار بالإبحار في صفحتنا على فيسبوك أو على موقعنا.

مع نهاية فترة الحجر، كان علينا أن نروج لحملتنا الجديدة لدروس الفرنسية.

في مواجهة الوباء وخلال فترة الحجر، برز نموذجان للاستهلاك، ومنهما فورة الشأن الثقافي الرقمي.

ونحن نتجه دون شك نحو إعادة تشكيل لن يتم بشكل تلقائي، لأنه يفترض تجاوز ثلاث عقائد : العقيدة الاقتصادية للنمو، عقيدة التقدم وعقيدة مركزية الإنسان في الكون[2].

كما تولدت عنها نماذج جديدة لاستهلاك المنتج الثقافي على الانترنيت لأن المؤسسات التي تستقبل الجمهور، كما هو الحال بالنسبة لمؤسستنا، اضطرت إلى التأقلم، وإلى الاختراع، وإلى اقتراح طرق جديدة لتقاسم معارضها ومجموعاتها.

في هذا الصدد، شكلت فترة الحجر الصحي مختبرا رقميا حقيقيا. فقد دفعتنا الأزمة الصحية إلى إحداث رواق فني افتراضي بدعم من ناشر متخصص لاقتراح معرض لهذه الغاية أيضا، توجهنا إلى فنانين محليين والتمسنا بالخصوص من جمعية «هذه وجدة» (This is Oujda) التي كنا نعرف مواهبها في مجال الڤيديو.

وبتشجيع الانفتاح على الثروات التي يتوفر عليها كل وسط وكل فرد، فإن الثقافة «تخلق صلة وصل بين الآخرين ونحن». وهي تسمح بالتواصل ولذلك فإن الصلة مع جمهورنا، والجمعيات المحلية وفناني الجهة كانت بالنسبة إلينا أساسية.

1- الرئيسة : السيدة Mme Clélia Chevrier-Kolaćko، المديرة العامة للمعهد الفرنسي للمغرب والمستشارة في التعاون والعمل الثقافي،
Keum Suk Gendry Kim، مصورة قصصية كورية، ومؤلفة بالخصوص لـ «غناء أبي»، و«الأعشاب الضارة»،
زينب فاسيكي، مصورة قصصية ورسامة مغربية مؤلفة لـ «أمور» «وحشوما»...،
عبد اللطيف بنعزي، عميد سابق للفريق الفرنسي للريڭبي وفائز بالڤران شليم،
مريم الناوي، قطب التعاون الدولي والإنعاش الاقتصادي بوكالة جهة الشرق،
Nicolas Grivel، وكيل أدبي متخصص في القصص المصورة،
Pierre Mateo، المدير المنتدب للمعهد الفرنسي لوجدة،
2- ما تقترحه Mirelle Delmas-Marty في «بوصلة لما بعد»

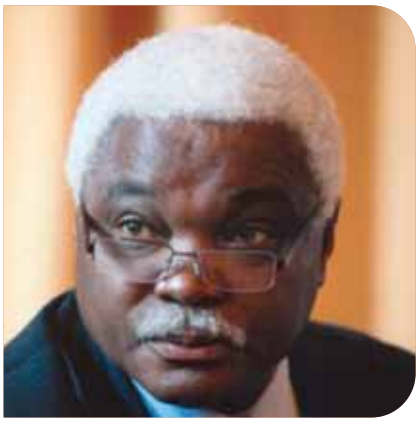

الأزمة الصحية كوفيد-19 : قراءة وآفاق المجتمعات المحلية لإفريقيا

جان بيار إلون مباسي
الأمين العام لمنظمة المدن والحكومات المحلية المتحدة لإفريقيا

يرتبط الكاتب برؤية ترابية للتنمية، حيث الأماكن، الفضاء وتنظيمها أساسية. وهو يعتبر من المدافعين المستميتين على المجتمعات المحلية للقارة، التي جمعتها المنظمة التي يضطلع بأمانتها العامة سنة 2018 بمراكش في المؤتمر الثامن للمدن الإفريقية. وقد أثارت الأزمة الحالية الكاتب الذي استشعر بأن الدول هيمنت على قرار مواجهة الوباء. فما هو دور المجالات الترابية ؟ وأي موقع لمسؤوليها ؟

كوفيد-19 قلبت العالم رأسا على عاقب وتسببت في فزع عام

لو كنا في عالم موسيقى البوب وحتى نستعير من قاموسها، فكوفيد-19 كانت نجمة سنة 2020 وقد تظل في المرتبة الأولى للمبيعات لسنوات عديدة أخرى. وسوف تطبع ببصمة لا تمحى ولا تنسى سكان العالم بأسره.
فخلال السنوات السابقة القريبة، لم يكن لأي ظاهرة وقع بهذه القوة وبهذا الامتداد الكوني على حياة الناس أكثر من هذه الجائحة :

- أكثر من 4 مليار شخص أجبروا على الاحتماء في بيوتهم ؛
- دول هلعة في كل مكان تقريبا، تتخذ تدابير متناقضة تنم عن الفوضى وتدل على الاضطراب السائد والنابع أكثر من الفزع منه من الوقائع الحقيقية والعقل ؛
- الوسط العلمي في حالة حيرة، يوصي بالشيء ونقيضه، عاكسا بذلك للجميع صورة مؤسفة لمجتمع علمي توارت فيه المعرفة إلى

تدروس أدهانوم كَبريسوس،
المدير العام لمنظمة الصحة العالمية

قلاع إيديولوجية مرتبطة بمصالح اقتصادية تختلف غاياتها وأهدافها ؛

- منظمة الصحة العالمية، التي مثلت إلى هذا الحين المرجع الدولي في مجال الصحة، اتهمت بتبعيتها للمختبرات الصيدلية من جهة، وبمحاباة بعض الدول من جهة أخرى، مما شوش على الطريقة التي تم في إطارها استقبال نصائحها ؛
- الإعلان من طرف منظمة الصحة العالمية عن كارثة وشيكة بإفريقيا، بانتشار الفيروس في وسط ضعيف جدا من حيث التجهيزات الصحية، وهو الإعلان الذي كذبته الوقائع حيث أن عدد الوفيات الناجمة عن كوفيد-19 في البلدان «الفقيرة» إلى حد الساعة في مستوى أقل بكثير من المستوى الذي تسجله الدول المتقدمة والناشئة.

على الصعيد الاجتماعي، لاحظنا أن أوائل الصف فوجئوا ووجدوا أنفسهم في مأزق واضطروا إلى الاعتراف بالدور الضروري والأساسي لمُتخلفي الصف لتشكيل الخط الأول في مواجهة الأزمة الصحية.

وقد شاهدنا السكان يصفقون يوميا على الطواقم الطبية، ثم كل الذين، نساء ورجالا، كنا نعتبرهم إلى حد الساعة عناصر مغمورة من الاقتصاد المحلي والوطني، وحتى المعولم، كعاملي النظافة، العمال الصغار بالجماعات الترابية، صرافات الأسواق الممتازة، تجار القرب الصغار، أرباب النقل على الطرق وموصلو البضائع بكل أصنافهم، الخ.

في واقع الأمر، يبدو أن كوفيد-19 أظهرت الوجه الحقيقي للعالم، وكل الآليات التي توجد خلف الستار والتي تمكن من استمرار العرض دون اصطدام بحيث لا يظهر إلا الممثلون الذين يوجدون على الركح، في حين يستحيل إنجاز أي عرض بدون هؤلاء المتدخلين الرئيسيين الآخرين.

لعب كوفيد-19 دور الكاشف ببراعة وعلى كل المستويات. فعلى الصعيد الفردي، رأينا أن البعض لم يتردد عن مطالبة جيرانه المنتمين إلى الطاقم المعالج – والذين كانوا يصفقون عليهم في كل مساء - بمغادرة مساكنهم حتى لا يعرضونهم للإصابة بالڤيروس، ليظهر بجلاء أسوأ ما يوجد في الطبيعة البشرية !

منذ بداية الوباء، كان الرد الأول لغالبية الدول هو «عدم الاكتراث بالغير» حيث أقاموا بينهم منافسة مخجلة للولوج لتجهيزات الوقاية، وللفحوصات أو للأدوية. ولوحظت سلوكات لم تكن قط منتظرة في العلاقات الدولية لدى بعض الدول، كتحويل طلبيات قامت بها دول أخرى وتمر عبر مطاراتها، أو رفض المساعدة للدول التي كانت متأثرة أكثر حينها بالوباء.

لكن، وبسرعة نسبيا، لوحظ بأنه إذا كان، في الحالات العادية، يتم التعديل مقارنة بالحلَقة الأقوى في المجتمع التي تؤمن التنافسية للمجموع، ففي فترة الأزمة الصحية، تم التعديل بمقارنة مع الحلقة الأضعف والتي تؤمن صمود المجتمع. وهذا الوعي الشبه ملازم هو الذي خلق موجة من التضامن بين السكان، وبين المجموعات داخل المجموعة الوطنية الواحدة، أو بين الدول.

المجتمعات المحلية الإفريقية في ردها على الأزمة الصحية

في إفريقيا، ونظرا لأن الحالات الأولى قد استوردت من طرف مسافرين قادمين من أوروبا وآسيا، فقد ظهر المرضى الأوائل أولا في المدن وتم عزل سكان هذه المدن عن باقي البلاد لتجنب انتشار الڤيروس.

وقد سَلمت المدن المتوسطة والصغرى نسبيا، خاصة بفضل تدابير الحد من التنقلات بين مناطق البلاد.

في المدن الرئيسية، تبين أنه كان من الصعب أن تحترم الساكنة الحجر والتدابير الوقائية التي أوصت بها الدولة، لأن الساكنة النشيطة في القطاع غير المهيكل، كانت مضطرة للخروج من أجل الحصول على لقمة العيش وسد رمق أسرها.

كما أن التباعد الاجتماعي كان أيضا أمرا صعبا للغاية في أحياء السكن غير المهيكل الذي يعرف كثافة سكانية عالية في غالبيته. في المقابل، فإن ضرورة غسل الأيدي مرارا كانت له نتائج حميدة حيث أن الأحياء التي لا يصل إليها الماء تم تزويدها من طرف مصالح البلدية بواسطة الشاحنات الصهريجية. وفي بعض الحالات، تم تمديد الشبكات للمناطق التي لم تكن حينها مزودة بالماء الصالح للشرب. كما أن المصالح البلدية شاركت أيضا في تطهير واسع للأحياء، مما ساهم في عودة مصالح الصحة والنظافة التي توقفت منذ فترة الاستعمار.

منذ بداية الأزمة واتخاذ إجراءات الحجر، واجهت المدن الإفريقية صعوبة تلبية حاجيات الساكنة الأكثر هشاشة. وفي الحالات النادرة التي وضعت الدولة إعانات لفائدة الأشخاص الأكثر فقرا، تم إشراك سلطات المدن في عمليات توزيع حزم أو قسائم شراء غذائية نظرا لمعرفتها بالميدان. وقد استطاعت بعض المدن أن تخصص جزءا من ميزانيتها الذاتية لمساعدة الأسر المحتاجة. ولكن، بشكل عام، جل المدن لم تكن لها إلا عمليات محدودة في هذا المجال. وغالبا، ما تم إغفال السكان المهاجرين.

التداعيات الاقتصادية والمالية بالنسبة للمجتمعات المحلية الإفريقية

في الدول المتقدمة والدول الناشئة، يرتقب أن ينتج عن الأزمة الصحية انكماش للناتج الداخلي الخام بنسبة 3 إلى 5% في 2020، في حين كان من المنتظر قبل الأزمة أن ينمو هذا الناتج بنسبة 2 إلى 3% في نفس السنة. في إفريقيا، قد تكون التداعيات الاقتصادية للوباء أكثر خطورة، وخاصة بالمدن الرئيسية. وقد تأثر كثيرا قطاع المقاولات الصغرى والمتوسطة، في حين يعيش القطاع غير المهيكل أحوالا كارثية.

للتذكير، فهذان القطاعان يمثلان لوحدهما بين 30 و50% من القيمة المضافة لأغلبية المدن الإفريقية و60 إلى 80% من التشغيل مع كل التداعيات التي ستنتج عن ذلك دون شك :

انخفاض مستوى العيش، ارتفاع الفوارق، انعدام الأمن والعنف.
كما أن انخفاض الأنشطة الاقتصادية سوف يترجم بنقصان العائدات المالية لميزانيات المدن. فعلى أساس أرقام مرصد المالية المحلية لمنظمة المدن والحكومات المحلية المتحدة لإفريقيا، فإن الميزانيات المتوسطة لمدن إفريقيا (250 دولار أمريكي للفرد) ستعرف تقليصا :

- بنسبة 30%، في الحالات التي تشكل فيها مساهمة القطاع العصري في الموارد الذاتية للميزانية الأغلبية ؛
- على الأقل 50% في الحالات التي تعتمد فيها الموارد الذاتية المحلية في الغالب على الضرائب والرسوم على أنشطة القطاع غير المهيكل أو الشبيه (واجبات العرض بالأسواق، الرسوم على أماكن تناول المشروبات، الخ.).

سيكون لوباء كوفيد-19 أيضا وقع هام على ميزانيات الاستثمار لمدن إفريقيا، التي هي أصلا ضعيفة (في المتوسط 28 دولار للفرد). وحسب السيناريو الأكثر تفاؤلا (توقف الأنشطة الاقتصادية لمدة شهر أو شهر ونصف)، فإن انخفاض ميزانية الاستثمارات قد يبلغ 25%. وفي السيناريو المتشائم (توقف للأنشطة الاقتصادية يتجاوز 3 أشهر)، فإن انخفاض ميزانيات الاستثمار قد يفوق 40%. وهذا السيناريو المتشائم سينتج عنه بالمدن الصغيرة والمتوسطة انهيار مالي حقيقي، مما يزيل لسلطات هذه المدن كل إمكانية في الدخول في صفقات إيجابية مع المواطنين، وسيضع في الميزان عند السكان شرعية انتداب هؤلاء المسؤولين.
ولتخفيف تداعيات الأزمة الصحية، وضعت بض الدول (القليلة نسبيا في إفريقيا) مجموعة من التدابير تتضمن :

- مساعدات استعجالية للمقاولات وللسكان (تأجيل تأدية واجبات الكراء والضرائب والرسوم، الأداء المؤجل لفواتير الماء والكهرباء، تجميد تأجيل الأرباح المصرفية، دعومات مالية للسكان وللمقاولات على شكل تكفل بالبطالة الجزئية، الخ.) ؛

- إنعاش الأنشطة الاقتصادية، في إطار مخططات بهدف إعادة الناس إلى العمل، والحفاظ على أداة إنتاج الثروات والتشغيل، وكذا إحداث إيرادات (يتم تمويل مخططات الإنعاش بواسطة خلق العملة أو بواسطة الدين السيادي) ؛
- تدابير من أجل تشجيع الصمود لكي تتمكن المجتمعات من النهوض من جديد على قواعد جديدة بعد صدمة الوباء.

هذه الآليات المدعومة غالبا من طرف الشركاء في التنمية، تستهدف بالأساس المقاولات الخاصة والقطاعات التي تعتبر متأثرة أكثر بالأزمة الصحية من حيث مناصب الشغل ورقم المعاملات، ولا تستهدف المجتمعات المحلية. وهذا خطأ.
فالمدن هي بالفعل فاعل اقتصادي رئيسي حيث النسيج الاقتصادي المحلي يتكون بالأساس من مقاولات صغيرة ومتوسطة ومن أنشطة غير مهيكلة. وهذه الأخيرة تنمو بالخصوص حول البنيات التحتية، التجهيزات والفضاءات العمومية التي وضعتها المجتمعات المحلية. وتمكين هذه الأخيرة من المحافظة على قدرة دنيا من الاستثمار تمثل بالتالي دعما مباشرا لإنعاش الاقتصادات المحلية.
ودعم المجتمعات المحلية في إطار إسناد النشاط الاقتصادي في ما بعد كوفيد-19 ينبغي أن يتم أخذه بعين الاعتبار بشكل جدي من طرف الدول وشركاء عملية التنمية.

أية آفاق بالنسبة للمجتمعات المحلية في ما بعد الأزمة ؟

لأزمة كوفيد-19 آثار أساسية أكثر مما يبدو من الوهلة الأولى. فهي تُسائل بالفعل قدرة الصمود للمدن الإفريقية وإستعدادها لمواجهة الأزمات والكوارث التي بدأت تتكاثر، والتي يتسبب فيها جزئيا التغير المناخي.
فباستثناء المدن التي تعرضت مؤخرا لڤيروس إيبولا (منروڤيا بليبريا، فريتاون بسييرا ليوني، وكنشاسا ومدن شرق جمهورية الكونغو الديمقراطية)، فغالبية المدن الإفريقية جنوب الصحراء (باستثناء ربما مدن جنوب إفريقيا) لا تتوفر على آليات محددة في حالة الكوارث، ولا مخططات لتنظيم الإسعافات والمساعدات للضحايا. وقد أبان الوباء أيضا بأن الكثير من المدن تشكو من نواقص هامة في مجال تنظيم الترتيبات الجنائزية، بدءا من توفر عدد كافي من مستودعات الأموات وأماكن الدفن بالمقابر.

أثرت هذه الوضعية كثيرا في الساكنة المعنية، بحيث نعلم الأهمية التي توليها للطقوس الجنائزية ولمراسيم الحداد. ومن هنا يظهر بأن أزمة كورونا ستترك آثارا أيضا على الصعيد الأنتروبولوجي.

ومما يتجلى من تسيير الأزمة بإفريقيا، ولكن ليس فقط، هي أنها منحت الفرصة للحكام المحليين للتخلي، مدة الأزمة، عن الصلاحيات المعترف بها للمجتمعات المحلية بحكم قوانين اللامركزية. وهذا التحول، هل ستوقف مع نهاية الأزمة ؟

أو هل يستمر الزحف الذي بدأته الحكومات المركزية على ضوء الاستعجال الصحي، بالنظر لأن المجتمعات المحلية ستخرج منهكة جدا من الأزمة ؟ ومنظمة المدن والحكومات المحلية المتحدة مصممة على المقاومة إلى جانب أعضائها لكي لا تضيع مكاسب اللامركزية، مقتنعة مع أعضائها بأن التنمية هي تنمية محلية أو لن تكون.

تعطي الأزمة الفرصة للتفكير في نموذج التنمية التي اتبعته المدن الإفريقية إلى حد الآن على خطى دولها. ومنذ مدة طويلة، ترافع المنظمة من أجل أن تباشر المدن الإفريقية الانتقال نحو المدينة المستدامة والصامدة. ويقدر البعض بأن اللجوء إلى مفهوم الانتقال ما هو إلا فكرة موسمية عابرة ليس لها واقع ملموس في المدن الإفريقية، التي عليها أن تركز أساسا على الحفاظ عل بقاء سكانها.

هذا يجعلنا نتجاهل كما قال ماو تسي دونغ، بأن التناقض الرئيسي لا يمكن حله في المستوى الذي يظهر فيه. بل ينبغي لحله اعتماد مقاربة إستراتيجية تحاول الإجابة على الحالات المستعجلة مع إعداد الشروط لتجنب أن ننحصر فقط في معالجة المستعجلات، لأننا لم نفكر في التغييرات والتحولات التي ينبغي الدفع بها وتفعيلها في الأمد المتوسط والطويل للخروج من فخ الفقر والفوارق على مستوى المدينة بأكملها.

ليس للمدن الإفريقية من خيار سوى السعي إلى الانتقال نحو تنمية مستدامة حتى لا تكرر أخطاء الدول المتقدمة والدول الناشئة، التي ركزت تنميتها الاقتصادية على اللجوء السهل إلى الطاقات الأحفورية وعلى استغلال البيئة وطرح النفايات الضارة.

ويجدر التذكير، كما فعله العديد من العلماء، بأن وباء كوفيد-19هي علة نظام إيكولوجي مرتبطة بالطابع الاختراقي للجنس البشري اتجاه الكائنات الحية الأخرى التي يتقاسم معها الكوكب. فالنموذج الاقتصادي المهيمن يصطدم مباشرة بحدود المنظومة الإيكولوجية. وإنه من مسؤوليات إفريقيا، التي ستكون بعد حوالي ثلاثين سنة أول مسكن بشري والتي لها حظ كونها القارة الأقل ارتباطا بالاقتصاد الذي تسيطر عليه الطاقات الأحفورية، دفع العالم منذ الآن للاتجاه نحو منحى تنمية منخفضة الكاربون، وأكثر استدامة وصمودا.

نموذج جديد للتنمية بالنسبة للمدن

كل هذا سيتطلب تطورات عميقة في نموذج التنمية التي على المدن الإفريقية أن تتبناه. ويتعلق الأمر باستعراض الوظائف الخمس الرئيسية التي ينبغي لكل مجتمع محلي تأمينها :

- إطعام المجتمع ؛
- بناء المجتمع ؛
- توفير التجهيزات والخدمات الأساسية ؛
- صيانة المجتمع ؛
- إدارة وتسيير المجتمع.

بالضبط، يتعلق الأمر الانتقال إلى فحص :

- رزانة الاستغلال وكذا النفايات الملقاة في الطبيعة ؛
- النجاعة الطاقية ؛
- القرب والمسارات القصيرة بين أماكن الإنتاج والاستهلاك، وخاصة بالنسبة للغذاء ؛
- منطق الاقتصاد الدائري ؛
- الإدماج والعدل الاجتماعيين.

هذه الفحوصات ستمكن من الكشف عن النقط التي ينبغي معالجتها للتقدم نحو تنمية أكثر استدامة وصمودا. وهذا التمرين في متناول المجتمعات المحلية الإفريقية والكثير منها يعمل في هذا الاتجاه.

بالطبع، سيكون التمرين مكلفا بالنسبة للهيئات السياسية والإدارية لهذه المجتمعات من حيث معرفة مؤهلات مجالاتها ومساهمتها في تنمية الاقتصادات المحلية. ويمكن أن نجد الخبرات بالجامعات من أجل المساعدة على فهم ما يمكننا فعله.

من جانب آخر، فإن لانتعاش اقتصادات المدن الإفريقية حول مصفوفة الانتقال نحو التنمية المستدامة ميزة أنه يتلاءم مع أجندا 2030 لأهداف التنمية المستدامة وأجندة باريس حول التغيرات المناخية. وهذا يعني أن المدن التي ستندرج في هذا النهج سيكون بإمكانها الحصول على مساعدات في إطار آليات التعاون الدولي، مثل الصندوق الأخضر للمناخ. وتبني مثل هذه المصفوفة هي أيضا أفضل وسيلة لتبني أفق المجالات الترابية لأجندة 2063 للإتحاد الإفريقي، حول «إفريقيا التي نريدها».

إفريقيا والوباء :
الوقائع تكذب المتشائمين

يعتبر الخبراء بأن إفريقيا قد تكون قد وصلت الذروة الوبائية في الأسبوع الأخير لشهر غشت 2020. وحسب مارك وولهاوز (Mark Woolhouse)، فإن القارة قد تعيش «بداية العودة إلى وضع طبيعي». هذا ما صرح به أستاذ علم الأوبئة بجامعة إيدمبورغ يوم 24 شتنبر الأخير خلال لقاء نظمه المكتب الإفريقي للمنظمة العالمية للصحة. ومع ذلك، فإن الخبراء لا يستبعدون حصول «موجة ثانية» ولا يقدمون أي تصور مؤكد على المدة وعلى صعوبة الطريق المتبقي في مواجهة الوباء.

ومنذ ظهور أول حالة بإفريقيا، بمصر، يوم 14 فبراير الأخير، تم إحصاء 35 000 حالة وفاة و1,43 مليون إصابة بالڤيروس بالنسبة لـ 1,2 مليار نسمة. من هذه الزاوية، فإن إفريقيا إلى جانب أوقيانوسيا القارة الأقل إصابة في العالم : 000 22 وفاة في المجموع بالنسبة لجنوب إفريقيا ومصر، وهما الدولتان اللتان تضمان أكبر عدد من الحالات، مقابل زهاء 32 000 في فرنسا بمفردها، بساكنة 2,3 مرة أكثر. والوضعية تتناقض مع تخوفات المراحل الأولى للوباء، حيث كان الخبراء يخشون مواجهة المرض بمنظومة صحية تعتبر عموما غير كافية وهشة. ويعود أمر ذلك إلى :

- نماذج إحصائية غير ملائمة، والتي أربكتها نسبة الحالات بدون أعراض بادية (80% بإفريقيا، مقابل 40% في البلدان الغربية) ؛
- مجهود ضخم في مجال التوعية من طرف السلطات في كل البلدان (الإجراءات الاحترازية، وضع الكمامات، النظافة، التباعد الجسدي، التقليص من التنقل) ؛
- غياب بؤر كبيرة للإصابة ؛
- سرعة تفاعل المسؤولين (الإيقاف السريع للرحلات الجوية الدولية وإقفال الحدود) وتقبل جيد للإجراءات من طرف السكان ؛
- النسبة الهامة للشباب في مجموع الساكنة (3% يتعدى عمرهم 65 سنة. والجزائر بنسبة 10%، والتي توجد في عمق تحول ديمغرافي، سجلت نسبة ملموسة من حيث عدد الوفيات) ؛
- الغياب الشبه تام لبنيات استقبال الأشخاص ذوي الأعمار المتقدمة جدا (أقل من 10% من الساكنة) ؛
- جزء كبير من السكان يعيشون في المناطق القروية، في الهواء الطلق، وضمن كثافة سكانية ضعيفة ؛
- النشاط المحدود نسبيا للنقل العمومي ؛
- احتمال مناعة متقاطعة ناتجة عن مواجهة ڤيروسات تاجية أخرى.

وتتوفر جنوب إفريقيا ومصر، وهما الدولتان اللتان تسجلان أكبر عدد من الإصابات، على أعلى كثافة سكانية بالمدن.
وتعمل شبكة من المختبرات (12، منها 10 إفريقية) على تسلل جينوم الڤيروس الساري في إفريقيا، وتحولاته المختلفة، مما من شأنه المساعدة على إيجاد لقاح أو علاج مناسب للقارة. ويتعلق الأمر في آن واحد بالتعرف بشكل أفضل على مجموعات نقل العدوى وفهم طريقة انتقال الڤيروس وتحوله.

وقد تم التعرف على ما لا يقل عن 10«فصائل» من الڤيروس، علما بأن العدوى بالقارة استقدمت من أوروبا.

وبعد إيبولا، التي فتحت الباب أمام إحداث مستوى أول فعال للتعاون القاري، فقد أعطى وباء كوفيد-19 زخما حقيقيا للتعاون العلمي حول التعفنات المعدية بين الباحثين والمختبرات الإفريقية.

وإذا كانت الدول الـ 54 للقارة قد أصيبت كلها بهذا الوباء، فإننا مع ذلك بعيدون عن الكارثة المعلنة كما أن دينامية التضامنات القارية هو خبر جيد للغاية.

هيئة التحرير،
عن مقال ليومية
«لو موند» الفرنسية :
«كوفيد-19 : بداية العودة
إلى الوضع الطبيعي
بالنسبة لإفريقيا»، والذي
نشر في موقع الجريدة
يوم 20 شتنبر 2020.

مجلة

ORIENTAL .MA

تساهم

في

تكوين

وتداول

المعرفة

وكالة جهة الشرق

تم مسبقاً

إصدار

23

عدداً

يمكن الإطلاع
على كل منشورات
وكالة جهة الشرق
على:
www.oriental.ma